الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية – أدرار –

كلية الآداب
الأدب واللغات

قسم اللغة و
العربي

دلالة اللون في قصص السعيد بوطاجين
المجموعة القصصية " ما حدث لي غداً أنموذجاً

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص :دراسات جزائرية

إعداد الطالبتين :

- حميدة بطاري
- مريم حساني

إشراف:

د.مبارك بلالي

السنة الدراسية 1438/1437 هـ - 2017/2016م

شكر و عرفان

"إن الاعتراف بالجميل لأهل الفضل واجب وأكيد"

بصدد انجاز هذا العمل المتواضع نشكر الله سبحانه وتعالى الذي وفقنا لإتمام هذا العمل

وأنا رنا بالعلم وزيننا بالحلم وأكرمنا بالتقوى

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير والاحترام إلى الأستاذ المشرف " بلالي مبارك "

لقبوله والأشراف على هذه المذكرة ونصائحه و توجيهاته التي لم يبخل علينا بها

راجينا من المولى عز وجل ان يوفقه في حياته المهنية.

كما نتقدم بشكر الجزيل الى مؤسسة "فكرة" كل واحد باسمه , والى كل من ساهم في اخراج هذا العمل .

حميدة ومريم

الإهـــداء

إلى الوالـدين الكريمين.

إلى إخـوتي.

إلى كل من آزرني , ومد لي يد العون والمساعدة.

إلى كل من علمني حرفا .

إليكم جميعا اهدي هذا العمل .

مريم

الإهـــداء

إلى ذلك البليغ في صمته الذي علمني المثابرة و إلاصرار,والدي رحمه الله.

إلى من علمتني معاني الصبر والتضحية والاجتهاد نبع الحنان أمي الحبيبة.

إلى المخلص الذي آزرني في هذا المشوار زوجي الغالي – عبد الحليم.

إلى ثمرة المحبة وعربون الوفاء حبيبي "لؤي محمد مولود".

إلى سندي وعزوتي في الحياة , ومهما قلت فلن أوفيهم حقهم , أخي و إخوتي الكرام .

إلى كل من علمني حرفا , أساتذتي و مشايخي جزأكم الله خير و جعل مثواكم الجنة مع الصديقين والأخيار.

حميدة

مقدمة

اللون من أهم ظواهر الطبيعة ومن أجملها؛ فقد دلت الأبحاث على أن اللون قوة تؤثر في الجهاز العصبي، وأثره لا يقل عن الموسيقى، بل وأكثر من ذلك. كما يمثل اللون ملمحا جماليا في الأدب؛ إذ يعد عنصرا مهما من عناصر البناء الفني ذلك أن رؤية الأدباء إلى استخدام الألوان قد تغيرت، ففي معظم الأحيان لا يرد اللون فيما وصف له، بل يكشف عن إحساس الأديب ويرمز لمشاعره المختلفة من حزن وسرور.

فالأدباء في العصور الأخيرة خاصة في الزمن المعاصر، يستخدمون اللون في المعنى الرمزي، ومن أجل ذلك جاءت دراسة اللون في الأعمال الأدبية المعاصرة من خلال ربطها بسياق النص الذي وردت فيه، وهو الذي يحدد وظيفته وفاعليته.

يتناول هذا البحث دراسة الألوان ودلالاتها في قصص بوطاجين دراسة دلالية وفنية، ويهدف إلى إحصاء الظواهر اللونية في مجموعته القصصية "ما حدث لي غدا" ودراستها في ضوء مقاصد القاص وأغراضه.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في دراسة الإبداعات الأدبية الجزائرية، والكشف عن خصائصها الفنية والتعبيرية، فاستوقفنا السعيد بوطاجين ومجموعاته القصصية المتميزة والتي أثارت إعجابنا فرغبنا في دراستها ومحاورتها، والسعيد بوطاجين قاص وناقد جزائري تميز بخصوصية في أسلوبه السردي القصصي؛ مكنته من الحضور في الساحة الأدبية المعاصرة بقوة، وفي الميدان الثقافي العربي بعامة.

وقد أردنا التعمق أكثر في شخصية بوطاجين ومدونته القصصية فاخترنا ظاهرة من الظواهر التي شاعت في مجموعاته القصصية وهي ظاهرة توظيف الألوان، فكان العنوان (دلالة اللون عند السعيد بوطاجين المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا")، محاولين الإجابة على مجموعة من الإشكالات منها: ما هو اللون؟ وكيف وظفه الأديب المعاصر؟ وما غرضه من ذلك؟ وما هي الصور التخيلية لدلالة الألوان في قصص بوطاجين؟ وما أثرها الفني على المتلقي معنويا وجماليا؟

ولقد سبق لبعض الباحثين التطرق لظاهرة توظيف اللون عند الأدباء وخاصة منهم الشعراء في كتاباتهم منها: "الصورة الشعرية والرمز اللوني ليوسف حسن نوفل"، و"الصورة اللونية في الشعر الأندلسي" لصالح ويس.

وقد حاولنا في هذا البحث الاستفادة من هذه الدراسات السابقة والتركيز أكثر على تجليات وجماليات الألوان ودلالاتها في مجموعة بوطاجين "ما حدث لي غدا" حيث عالجنا الجانب الجمالي لنبين أن الألوان ودلالاتها لا تساهم في إبهام وغموض النص القصصي بقدر ما تزيده فنية وجمالا.

وأما فيما يخص خطة البحث. فقد عالجنا الموضوع ضمن مدخل وفصلين قسمنا كل فصل إلى ثلاثة مباحث، تحدثنا في الفصل الأول عن التوظيف الفني للألوان في الأعمال الأدبية، وأثرها في بناء الدلالات المعبرة والمثيرة لدى المتلقي.

وفي الفصل الثاني حاولنا تحليل بعض النماذج التي تضمنت الألوان ودلالاتها في مجموعة بوطاجين، وخلفية توظيفها وأثرها الفني على المتلقي.

وختمنا الموضوع بخاتمة ضمناها أهم النتائج المحصلة.

هذا وانتهجنا المنهج الوصفي التحليلي بغرض وصف الظواهر اللونية في المتن القصصي وتحليلها، والكشف عن دلالاتها وخصائصها الفنية والإبداعية، بالإضافة إلى إحصاء الألوان والألفاظ والعبارات الدالة على معاني ودلالات اللون في قصص بوطاجين.

كما اعتمدنا على مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة أهمها كتاب "اللغة واللون" لأحمد مختار عمر، وكتاب "اللون ودلالاته في الشعر الأردني" لمحمد ظاهر هزاع الزواهرة، ومخطوط ماجستير بعنوان "دلالات الألوان في شعر نزار قباني" لأحمد عبد الله حمدان، كما استفدنا كثيرا من الدوريات وشبكة الانترنت.

ولعل أهم مشكل واجهنا في هذا البحث هو قلة الدراسات التي تناولت بالبحث دلالة اللون في قصص بوطاجين، بالإضافة إلى عدم توفر الدراسات أو القراءات حول مجموعاته القصصية، وهو ما من شأنه المساعدة على استنطاق النص القصصي ومعرفة ظلاله الدلالية والفنية.

والله من وراء القصد.

المدخل: دلالة الألوان في الأديان والثقافات

1) دلالة الألوان في الأديان:

اهتم علماء اللغة والمعجميون بالمصطلحات وجعلوها من الأمور المهمة والدقيقة، وذلك من أجل توضيح مختلف المعاني والدلالات الموجودة في اللغة والأدب، وبفضل هذا المجهود فإنهم أعطوا للون تعريفا جاء فيما أدلى به ابن منظور في لسان العرب: « اللَّوْنُ هيئةٌ كالسَّوَاد والحُمْرة ولَوَّنْتُه فتَلَوَّنَ ولَوْنُ كلِّ شيء ما فَصَلَ بينه وبين غيره والجمع أَلْوَان وقد تَلَوَّنَ ولَوَّنَ ولَوَّنه والأَلْوانُ الضُّروبُ واللَّوْنُ النوع، وفلان متلون أي لا يثبت على خلق واحد. واللون : الدقل، وهو ضرب من النخل؛ واحدتها لينة، كل شيء من النخل سوى العجوة فهو من اللين، واحدته لينة، وقيل هي الألوان والواحدة لونة، فقيل لينة بالياء، والجمع لين ولون، وشبه الألوان بالتلوين فشبه ألوان الظلام بعد المغرب يكون أولا أصفر ثم يحمر ثم يسود بتلوين البسر يصفر ويحمر ثم يسود . ولون البسر تلوينا إذا بدا فيه أثر النضج»[1].

وجاء في مقاييس اللغة: «واللام والواو والنون: كلمة واحدة وهي: لون الشيء كالحمرة والسواد»[2]. ذلك أن هذا اللفظ باللام التي تدل على دخول شيء في شيء آخر، مما يشير إلى تركيب اللون من عناصر عديدة في صورة واحدة، يظهر منها العنصر الذي يسود أعلى من غيره في هذا التركيب المتداخل.

أما اللون اصطلاحا فقد عرفته الموسوعات الحديثة بتعاريف مختلفة ومفصلة في ضوء تطور العلم والمعرفة على أنه: «خاصة ضوئية تعتمد على طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكسه»[3].

تعددت الألوان في الطبيعة واختلفت وتقاربت فلذا كانت مسمياتها في اللغة، «فنجد عشرات الأسماء للتعبير عن اللون الواحد وهي تختلف باختلاف درجات اللون، وهو ما عرف قديما باسم إشباع اللون أو تأكيده»[4].

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، مادة (لون).دار صادر، بيروت، ج 13 , 1995،ص 393

[2]- ابن فارس، أبو الحسين أحمد: مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، فصل اللام والنون وما بينهما، ص 223.

[3]- غربال محمد شفيق وزملاؤه: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبان، بيروت، لبنان، 1986 ، مج 2، ص 1581.

[4]- خليفة عبد الكريم: الألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة 1987، ص 36-37.

ومنه يتضح لنا أن اللون في القديم قد حمل أسماء عدة، فسمه حسب عمقه، كما أن هذا «الاختلاف في الأسماء والمسميات للون الواحد باختلاف الحقل الدلالي الذي يرد فيه، فالأبيض في الإنسان قد يختلف عنه في الحيوان»[1]. بمعنى أن اللون يحمل دلالات مختلفة فيما بين الإنسان والحيوان.

وبما أن الألوان متعددة فلا بد من الاستعانة بنظام التصنيف والتبويب إلى ألوان رئيسة تنوب عن ذكر غيرها، فتقسم الألوان على ستة أقسام رئيسة هي: «الأسود، والأبيض، والأحمر، والأخضر، والأصفر، والأزرق. وذلك لكون هذه الألوان البؤرية في المعجم العربي»[2]، وبقية الألوان تنطوي تحتها، «فالكميت مثلا ما كان لونه بين الأحمر والأسود من الخيل والإبل، وإذا غلبت عليه الحمرة فهو يلحق بالأحمر»[3].

بمعنى أن هذه الألوان قد قسمت إلى ألوان رئيسية وألوان ثانوية، وقبل هذا كله نقول أن الألوان هاته ورد ذكرها في القرآن الكريم حاملة دلالات مختلفة ومعينة، وأول ما نبدأ به هو لفظ اللون «فقد ورد لفظ ألوان في تسع آيات فقط من القرآن الكريم، وورد ذكر لفظ ألوان وهو جمع كلمة (لون) في القرآن في مواضع سبعة أيضا ولكن في ست آيات كإشارة من المولى عز وجل إلى الأطياف اللونية السبعة المعروفة التي يتكون منها الأبيض والأسود»[4].

فوجدنا لفظ لون مفردة مرتين في آية واحدة من آيات القرآن الكريم في الموضعين التاليين:

أ) لفظ لون: حيث قال تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 69).

ب) لفظ ألوان: ووردت جمعا في «سبع آيات توزعت على مخلوقات الله في الأرض مفصلة»[5]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْض مُخْتَلِفًا أَلْوَانه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَة لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 13).

---

[1]- أبو صفية، جاسر خليل: الدقة العلمية في مسميات الألوان في اللغة العربية، بحث قدم في مؤتمر العلمي الأول حول الكتابة العلمية باللغة العربية، بنغازي، 1990.

[2]- صالح، قاسم حسين: سيكولوجية إدراك اللون والشكل، العراق، بغداد:دار الرشيد، 1982، ص 108.

[3]- الخطيب الإسكافي: كتاب مبادئ اللغة، ط 1، 1985، ص 121.

[4]- عبد الرحمن المرازقة نجاح: اللون ودلالته في القرآن الكريم، إشراف: حسن محمد الربابعة، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا للحصول على درجة الماجستير، قسم: اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الأردن، 2010، ص 34.

[5]- المرجع السابق، ص 34.

وورد في الحديث عن النحل في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل، الآية 69).

وعلى اختلاف الألسنة البشرية وألوان الناس كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (سورة الروم، الآية 22).

وعلى الثمار المختلفة كما في قوله وعلى الجبال المختلفة الألوان، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (سورة فاطر، الآية 27).

وعلى الناس والدواب في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (سورة فاطر، الآية 28).

وعلى الزرع المختلفة ألوانه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر، الآية 21).

والمتبصر في هذه الألفاظ يجد أن لفظ اللون في سورة البقرة كان تحديدا لماهية اللون، في حين وردت الألفاظ السبعة الباقية مقترنة بلفظي المصدر (الاختلاف) أو اسم الفاعل (المختلف)، ويبدوا واضحا أن اللون هذا ارتبط ارتباطا وثيقا بهذه التي تدل على الفروق والاختلاف والتباين وتعدد المشارب لإظهار أمرين هما:

الأول: قدرة الله سبحانه وتعالى وإعجازه فيما خلق من كائنات وما يضفي عليها من سمات وأوصاف في اختلاف الألسنة، وتباين الناس في اللون، واختلاف الكائنات الأرضية الحية والنباتية والجامدة، وينتج من البطون الجامدة والحية.

الثاني: دعوة الإنسان إلى التبصر والتفكر، لأن عددا من الألفاظ اللونية قد سبق بقوله تعالى:كظ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ...﴾، وفي هذه «دعوة صريحة للنظر بالعين، والتفكير بالعقل، والتبصر بالقلب لدراسة هذه الظاهرة التزيينية دراسة واعية نستخلص منها العبرة والموعظة، ونقر فيها للخالق بالتفرد والإبداع والإعجاز»[1].

بمعنى أن الألوان هنا جاءت للتعبير عن الأصناف والأجناس والهيئات، ويقول الطبري في تفسيره للفظ اللون: «يعني أنواعا وأصنافا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة»[2]. وقد تأتي لتدل على اختلاف الطعم كما جاء في سورة النحل: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ (سورة النحل، الآية 69).

أي أن اللون دل على الطعم، وقد يدل على الأجناس، حيث قال الزمخشري: «ألوانها: أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا حصر له، أو هيئات من الحُمرة والصُفرة والخُضرة ونحوها»[3].

«ووردت الألوان في القرآن الكريم بألوانها السبعة ضمن خمسة وخمسين آية منزلة، وتسع وثلاثين سورة»[4].

وفي مقدمة هذه الألوان **اللون الأبيض**: «الذي تكرر 12 مرة في اثني عشرة آية، أي ما يعادل فيها:

1- تحديد وقت الفجر الحقيقي.
2- يعادل وجوه أهل السعادة يوم القيامة.
3- يعادل بعض الأمراض مثل ذهاب سواد العين عند الحزن الشديد.
4- وبه معجزة سيدنا موسى عليه السلام بابيضاض يده من غير سواه (برص).
5- يعادل لون بعض الجبال.
6- ويعادل مشروبات أهل الجنة»[5].

---

[1]- قرانيا محمد: ظاهرة اللون في القرآن الكريم، بحث نشر في مجلة التراث العربي، العدد 70، رمضان 1418هـ، كانون الثاني يناير 1998م، الإمارات، ص 87-88.

[2]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج10، ص 626.

[3]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، القاهرة، د ت، ج3، ص 307.

[4]- حمدان، أحمد عبد الله: دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008، ص 39.

[5]- عبد الرحمن مرازقة نجاح، اللون ودلالاته في القرآن الكريم، ص 38.

فإن اللون الأبيض هو ضد السواد، بحيث يشير الراغب الأصفهاني قائلا عن ذلك: «أبيض بيض ابيضاضا وبياضا، وهو مبيض وأبيض»[1]. لقوله تعالى: ﴿يَوْم تَبْيَضّ وُجُوه وَتَسْوَدّ وُجُوه فَأَمَّا الَّذِينَ اِسْوَدَّتْ وُجُوههمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْد إِيمَانكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 106).

بمعنى أن الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ينعمون، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 107). وفي آية أخرى قال: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (سورة الأعراف، الآية 108). وكذا ذكره لذهاب سواد العين إلى لون أبيض وهو مرض يصيب حاسة العين، حيث قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة يوسف، الآية 84).

بمعنى أن يعقوب قد ضاق صدره حزنا على ابنه يوسف الذي غاب وقال: «يا حسرة على يوسف ابيضت عيناه، وذهب السواد عنهما من شدة الحزن، فهو ممتلئ القلب حزنا ولكنه شديد الكتمان له»[2].

ثم جعل ذكر لألوان الجبال حيث قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ (سورة فاطر، الآية 27)؛ أي أنه خلق الجبال كذلك مختلفة الألوان.

وجاء ذكره لشراب أهل الجنة حيث يقول تعالى: ﴿ يُطافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ؛ بَيْضاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (سورة الصافات، الآيتان 45، 46).

ثم يرد البياض في قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (سورة الصافات، الآية 49)، فإن الله سبحانه وتعالى: «يصف نساء الجنة على أنهن بيض الأجسام بياضا كبياض بيض الأنعام هو أبيض مشرب بصفرة، وهو من أحسن أنواع الجمال في النساء»[3].

---

[1]- الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان داؤدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1992، ص 154.

[2]- القرطبي، محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث الغربي، بيروت، 1985، تفسير سورة يوسف، الآية 84.

[3]- الجزائري، أبو بكر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتب العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994، تفسير سورة الصافات، ص 49.

والجدير بالذكر «أن الأبيض في العصور القديمة كان مقدسا لآلهة الرومان Jupiter، حيث كان يضحى له بحيوانات بيضاء لأن اللون الأبيض يرمز للصفاء والنقاء»[1]. بمعنى أن القدماء كانوا يتقربون لآلهتهم بأضاحي بيضاء لأنه يمثل الصفاء. وهو اللون الذي يختاره المسلمين كذلك «لباسا أثناء الحج والعمرة، وكفنا للميت»[2].

الأخضر: يأتي اللون الأخضر في المرتبة الثانية تكرارا في القرآن الكريم «وهو من الألوان المريحة المحببة للنظر، وفيه ثياب أهل الجنة ورمز الحب والأمل والخصب والخير والنما، والسلام والأمان»[3]. بمعنى أنه «دل على الخير لارتباطه بالنماء كذا الحقول والحدائق والأشجار وارتبط بالنعيم والجنة في الآخرة، وهو عند المسلمين لون الألوان»[4]. كونه أزهاها وأروعها.

وجاء في القرآن وصف لملابس المسلمين في الجنة بالخضرة في الآيتين؛ هما: قوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ (سورة الإنسان، الآية 21)، والآية الأخرى كما قال تعالى: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ (سورة الكهف، الآية 31). وفي موضع آخر ذكر هذا اللون واصفا كذلك لبعض مقاعد الجلوس في الجنة، حيث قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ (سورة الرحمن، الآية 76). بمعنى أنه وصف الجنة ومجالسها لذا أحبه المسلمين جدا، وجعلوه مميزا حتى أنه كان عندهم لون الألوان، وفي العقائد القديمة اختاره «الكاثوليك ليمثل الإخلاص والخلود والتأمل الروحي، ويستعمل في عيد الفصح ليرمز إلى البعث، واللون الأخضر الحائل عندهم هو لون التعميد Baptism»[5].

ومنه يتضح أن اللون الأخضر عند الكاثوليكيين هو لون جميل يدل على التأملات الروحانية المتشبثة بالرجوع إلى الرب ومسألة البقاء والخلود.

اللون الأسود: أخذ اللون الأسود في اللغة ألفاظا كثيرة،وتجمع في الغالب على أنه: «ضد الجمال ولون التشاؤم وكل ما هو سيء، ووصفوا تدرجه على أنه أسود أسحم ثم جون وفاحم وحالك وحانك، ثم حلكوك وسحلوك ودجوجي ثم غربيب وغدافي وخداري»[6].

---

[1]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، دار عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997، ص 164.

[2]- المرجع نفسه، ص 146.

[3]- قرانيا محمد: ظاهرة اللون في القرآن الكريم، ص 88.

[4]- المرجع السابق، ص 146.

[5]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 164.

[6]- الثعالبي: فقه اللغة، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002، ص 118.

وظهر وجوده في القرآن في عدة مواقع لقوله تعالى: ﴿يَوْم تَبْيَضّ وُجُوه وَتَسْوَدّ وُجُوه فَأَمَّا الَّذِينَ اِسْوَدَّتْ وُجُوههمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْد إِيمَانكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (سورة آل عمران، الآية 106)، بمعنى أن هذا اللون دل في القرآن الكريم على وصف الكفار والمجرمين والمنافقين.

الأحمر: هو من الألوان الأولى التي عرفها الإنسان في الطبيعة، «فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة، وهو من أطول الموجات الضوئية»[1]. ونشير كذلك إلى: «أن هذا اللون متضارب في دلالته فهو لون البهجة والحزن ولون العنف والمرح والحزن، كما أنه مرتبط بالدم وعلى هذا هو لون مضيف نفسيا ومقدس دينيا»[2].

وكما نلاحظ فإن هذا اللون اختلف من حيث دلالته من الفرحة إلى الدم والعنف، و«في القرآن الكريم دل على لون بعض الجبال ولون الثمار والأشجار»[3]، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (سورة فاطر، الآية 27).

ويرمز هذا اللون «في الديانات الغربية إلى الاستشهاد في سبيل مبدأ أو دين أو رمز لجهنم»[4].

أما في الديانة الصينية «فإنه يرمز إلى العائلة والشرف أو النار أو العين البشرية»[5].

الأصفر: هذا اللون لون مقدس في كثير من الديانات، «فإنه ليس مقدس في الديانة الصينية والهندية فقط، ولكن كذلك في المسيحية الأوروبية، حيث استخدمت الكنيسة اللون الأصفر في اللوحات المقدسة في شكل خلفيات من أوراق الشجر الذهبية»[6].

---

[1]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 111.

[2]- حمدان، أحمد عبد الله: دلالات الألوان في شعر نزار قباني، ص 41.

[3]- أبو إسلام أحمد بن علي: دلالات الألوان في القرآن، دار النهضة، لبنان، ط1، 2008، ص 20.

[4]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 146.

[5]- طلال الغامدي: الألوان والرموز ودلالاتها الحضارية الدينية، دراسات عليا، العلاج عن طريق الفن، الموقع: kenanaonline.com، نشر في: 2010/01/15، على الساعة: 22:25.

[6]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 163.

كما أن العرب كذلك استعملوه قديما خاصة عند المصريين لارتباط اللون الأصفر بلون الشمس والضوء، وقالوا: «إن الأصفر رمز لإله الشمس رع»[1].

أما في القرآن الكريم فقد اختلفت دلالاته بحسب السياق، فمنه ما دل على الجفاف والذبول والمرض، ومن القاتم ما يدل عل الماء الآسن، ومنه الفاقع الذي يسر الناظرين، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 69).

بمعنى أن اللون الأصفر حمل دلالات تماشت والسياق القرآني وفي كل مرة حمل معنى مغايرا للذي سبق، مثلا في قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾ (سورة المرسلات، الآية 33).

اللون الأزرق: ذكر هذا اللون في القرآن الكريم حاملا «دلالات معينة تتمثل في لون وجوه الكافرين عند الحشر من شدة أهوال يوم القيامة، والخوف والرهبة والوجل»[2]. لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ (سورة طه، الآية 102). كما أنه مذكور في «الديانة العبرية، فهو لون الرب يوه Lord Jehovat، وبهذا أصبح أحد الألوان المقدسة عند اليهود»[3]. أما لدى الصينيين «فاللون الأزرق رمز الموت»[4]. وفي التدرج حمل دلالات معينة، ذلك أن :«الأزرق القاتم يدل على الخمول والكسل والهدوء، والفاتح هو عكس الثقة والبراءة والشباب، أما العميق فيدل على الشعوب المسؤولية والإيمان برسالة يمكن تأديتها»[5].

بمعنى أن هذا اللون حمل معاني واسعة تعود إلى تدرجاته المختلفة بين فاتح وقاتم وعميق.

الألوان في الثقافات:

في العرف العام هناك تعريفات جاهزة للألوان ودلالاتها، وهي في الغالب مستوحاة من الثقافة المعيشة؛ إذ تعارفوا الناس على رمزيتها ودلالاتها.

---

[1]- المرجع نفسه، ص 163.

[2]- أبو إسلام أحمد بن علي: دلالات الألوان في القرآن، ص21.

[3]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 164.

[4]- عبد الفتاح، رياض: التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1983، ص 166.

[5]- المرجع نفسه، ص 164.

فالأسود رمز الحزن والكآبة، والأبيض نقاء وطهارة، والأخضر سلام والأحمر حب أو ثورة. «أما في لغة الورود فالأحمر دلالة على الحب، والأصفر على الغيرة، والأبيض على النقاء والصداقة. وعلى الرغم من أن الأزرق من الألوان الشديدة الحضور؛ إلا أن الثقافة الشعبية استبعدته من حساباتها»[1].

فنجد في حضارة الفراعنة، إن الإنسان القديم أدخل الألوان في طقوسه وعباداته، فظهرت الأثواب الخاصة للصلاة يغلب عليها اللون الأحمر القرمزي والأصفر الفاتح، والأزرق السماوي، ثم استعملت تلك الألوان في طلاء جدران المعابد والهياكل المقدسة، وصار لكل لون رمز ومرتبة[2].

كما كان الفرعوني يرتدي تاجا أبيضا ليرمز لسيطرته على مصر العليا، مما يشير إلى أنها كانت تعيش بسلام وطمأنينة ....،

ففي بلاد ما بين النهرين صنفت الألوان صنفين: أحدهما ترتديه الأسرة المالكة وترفرف به قصورها ومقتنياتها.

والآخر لعامة الشعب أي بمعنى التمييز الطبقي بالألوان[3].

إن دلالات الألوان عند العرب عموما عميقة الجذور تواكب الحياة العربية في بيئاتها المختلفة وتساير متطلباتها الحضارية عبر تاريخها الطويل؛ إذ تمثل الألوان ملمحا جماليا في الأدب العربي، الذي كان بحق صورة عاكسة للثقافة العربية السائدة آنذاك منذ القدم؛ وبخاصة منه الشعر، ورغم افتقار الصحراء العربية للألوان، إلا أن نصوص الشعر العربي القديم جاءت حافلة بالدلالات اللونية، فلربما كان ذلك تعويضا عن جدب الواقع وجفاف الصحراء.

اهتم العرب قديما بتمييز اللون الأبيض عن الألوان الأخرى، بتحديد صفاته ودرجاته، فقد رتب الثعالبي درجات الأبيض على النحو التالي: «أبيض، ثم يقق، ثم لهف، ثم واضح، ثم ناصع، ثم هجان وخالص»[4].

---

[1]- حمدان، أحمد عبد الله: دلالات الألوان في شعر نزار قباني، ص 39.

[2]- متوج، سمران نديم: دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، 2004، ص 185-190.

[3]- المرجع نفسه، ص 190.

[4]- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك أبو محمد: فقه اللغة، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 112.

وفي العصور القديمة كان اللون الأبيض مقدسا ومقصورا على آلهة الرومان، وكان يضحى له بحيوانات بيضاء، وعند المسيحيين عادة ما يرمز للمسيح بثوب أبيض، دليلا على الصفاء والنقاء والخلو من الدنس[1].

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن اللون الأبيض بكل ما يحمله من معاني الإيجاب الظاهرة والرمزية التي أشرنا إليها سابقا، ينحرف أحيانا في بيئات وأمكنة وأزمنة معينة إلى معان تناقض تلك المعاني التقليدية، وتقف على الضد منها تقريبا، فهو مثلا رمز للحزن لدى بعض الأمم ومنها أمة الصين، على النقيض من دلالته على الفرح والبهجة والسعادة عند الكثير من الأمم الأخرى.

أما اللون الأسود هو اللون الأكثر هيمنة على حياة البشر، والأكثر تدخلا في مصائرهم منذ أقدم الأزمنة وفي معظم الثقافات على مر العصور أيضا والأكثر تشكيلا لتقاليدهم وحساسية لتعاملهم مع الأشياء في الحياة، فقد أتخذه كثير من رجال الدين شعارا لهم، وذلك لرمزيته الدالة على الحكمة والرزانة[2].

ويدل على المستوى الدبلوماسي على قيمة صاحبه ومركزه الاجتماعي والرسمي، ولذا يلبس في المآتم والاحتفالات الرسمية.

يرمز اللون الأحمر في كثير من الثقافات إلى البهجة والحزن، وهو عند بعضها لون العنف ولون المرح والحزن، ومن أكثر سمات هذا اللون ارتباطه بالدم، فهو لون مخيف نفسيا ومقدس دينيا، فبعض القبائل مثلا تلطخ المولود بالدم حتى يكون له فرصة في العيش مدة طويلة[3].

وقضية اللون ومدلوله جزء مهم في دراسة الأدب العربي قديما وحديثا، ويعود إلى مدلولات هذه الألوان في التاريخ القديم محاولا ربطها بالأدب العربي من شعر ونثر ومدى تأثر هؤلاء الشعراء بالموروث، فقد كان الناس في العصر الجاهلي يربطون جل الأشياء من حولهم بالأساطير والخرافات المنسوجة من خوفهم من الطبيعة المحيطة بهم وتقلباتها وأسرارها وما يحل بهم من كوارث ومصائب لا يعرفون كنهها[4]. فكانوا يعتمدون على ما يسمعون من أساطير خارقة للعادة، وقد استدل العربي بفكره عن طريق اللاوعي برمزية الأوائل. وبما سمعه من المجتمع وأحيط به،

---

[1]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 163.

[2]- جواد، فاتن عبد الجبار: اللون لعبة سينمائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، ص 44.

[3]-المرجع السابق, ص44

[4]- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، ص 161-165.

فمن خلال ما عرضنا من مدلولات لهذه الألوان في موروثنا القديم –أي التراث العربي القديم– نجد مدى استجابة العربي لهذه المدلولات اللونية واستعمالاتها الرمزية، وذلك ما تجسد في التراث الأدبي من شعر ونثر[1].

علما إن الإنسان الأول ربط بين الألوان والعالم المدني من حوله، وربط بين الأشياء والقوى الخفية، وقد غيرت الألوان عادات الشعوب وتقاليدهم حتى صارت جزء من هذا التراث، وقد ربطوا بين اللون والخرافة واللون والدين واللون والتقاليد.

[1]– جواد، فاتن عبد الجبار: اللون لعبة سينمائية، ص 45-46.

الفصل الأول: التوظيف الفني للألوان في الأعمال الأدبية

المبحث الأول: الأبعاد الفكرية والنفسية لتوظيف الألوان في الأعمال الأدبية

يولد الإنسان ويعيش تحت تأثير قوتين مركزيتين، توجهان أفكاره ومشاعره وترسمان سبل حياته، هما العقل والنفس، وتتبادل هاتان القوتان التأثير والهيمنة على تفكير الإنسان وسلوكه، فالفعل هو الأداة التي يستعين بها الإنسان لفهم وجوده ومحيطه ويعمل من خلالها على تحقيق مطامحه وأهدافه، «غير أنه يخضع أحيانا لدوافع ورغبات تخالف أحكام العقل ومساراته، وهي نابعة من دواخل الذات الإنسانية التي تطمح لتحقيق غايات وطموحات خاصة تتعارض وأعراف وأنظمة المجتمع»[44].

فإن الأدباء الفنانون لهم قابلية على الارتقاء بهذه المشاعر المكبوتة والرغبات من مستواها الحسي المرفوض اجتماعيا إلى المستوى الجمالي الإبداعي المتميز والمقبول «مع التسامي بالغرائز والأحاسيس الداخلية إلى المستوى الجمالي للانجاز الفني والمعرفي الراقي عن طريق تحويلها إلى رموز وصور وإشارات ذات أبعاد فكرية ومعرفية مصاغة بأسلوب فني يسمح بتحرير هذه الرغبات والغرائز ودفعها إلى تجاوز عتبة الرمزية لتعبر عن أنساق اجتماعية متقدمة تحوز على تقدير وإعجاب المجتمع»[45].

وهو ما قام به الأدباء عندما وظفوا اللون في أعمالهم الأدبية للدلالة على مكنوناتهم، وما يجول في خواطرهم من أفكار، وتعد الدلالة النفسية للون أهم دلالة استخدمها الذين كتبوا ومارسوا العملية الأدبية سواء شعرا أو نثرا، «ذلك أن اللون يحمل قدرا كبيرا من العناصر الجمالية، وإضاءات دالة تعطي أبعاد فنية في العمل الأدبي على وجه الخصوص»[46].

ومنه يتضح أن للون دلالة هامة يتكلم بها صاحب العمل الأدبي مشكلا صورة جميلة تحمل العديد من المعاني والرموز الدالة على مفهوم أعمق، ينقلها للمتلقي عن طريق إحساسه ومشاعره، وهو ما أشار إليه الدكتور ظاهر الزواهرة في كتابه "اللون ودلالته في الشعر"، قائلا: «إدخال شعور من نمط آخر إلى النفس وعالم الحس،

---

[44]- كريم عباس الشريفي: الأبعاد الفكرية والنفسية فر رسوم سلفادور دالي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 2، 2013م، ص 522.

[45]- المرجع نفسه , ص 523

[46]- أحمد الطراونة: اللون ودلالاته في الشعر، مجلة الرأي الثقافي، عمان تاريخ النشر: 2008/09/21، الموقع: www.alrai.com، يوم: 2017/02/10.

الذي يتأثر ويستجيب لما تراه، أو يقع في القلب، فكل لون يعني لنفس معينة معنى جيدا غير مستقر في بقية أنفس البشر الآخرين»[47].

ومنه نفهم أن اللون له تأثير على نفس وقلب الإنسان الذي يراه، ذلك أن كل نفس وكيف ترى هذا اللون وكيف يؤثر عليها وفيها أيضا.

ويشير الدكتور سيار الجميل في مقال له عن فلسفة الألوان قائلا: «إنها علم واسع الأبعاد يتصل بالأمزجة وعلم النفس الجمعي والثقافة الحية والذوق الإنساني، وهو لا يقتصر على المقتنيات والتشيؤات، بل يمتد إلى المعاني، وأسس التذوق، وخصب التفكير، والمشاعر»[48]؛ أي أن اللون يتصل بنفسية الفرد والجماعة والأشياء، فتبدوا له جميلة في معناها متأثرا بها في كونها «سر من الأسرار، ووسيلة للتعبير والفهم، وإن كان عرضا لا يقوم بذاته ولابد له من مكان وزمان وشيء، فإنه سر من أسرار الوجود ، وهو قوة موحية جذابة تؤثر في جهازنا العصبي وللنفس فرحة لا يستهان بها عند النظر إليه»[49].

ومعنى ذلك أن اللون يعبر عن حالات مزاجية مختلفة تتظاهر في مشاعرها الإنسان وأحاسيسه من فرح وحزن، وقد يبحث في النفس الهدوء والسكينة أو الانفعالات الحزينة، كما أنه له صلة بالزمان والمكان والشيء، فتعاقب الليل والنهار مثلا يغير درجة اللون، ففي الصباح تبدوا لك الألوان وكأنها اغتسلت من عتمة الليل وارتدت أزهى ثيابها، فصارت أحسن مما ظهرت عليه في الليل، أما تأثيرها في الجهاز العصبي فإنه يعود إلى نفسية الإنسان إذ أن ألوان تجعله يحس بالراحة والمتعة عند النظر إليها، ذلك أن الإنسان يرتاح إلى كل ما هو جميل.

من المتعارف عليه أن للون دورا هاما في إبراز خبايا النفس البشرية، فله صلة وطيدة تربطه بالحالة النفسية للكاتب والمتلقي معا، واللون «لغة رمزية تحمل دلالات عديدة، وهو فضاء واسع له قدرة كبيرة على التأثير والتدليل، وذلك طبعا بحضور اللغة، ويمكن للنصوص أن تبنى على حركة مشهديه أن تخلق إيقاعا لونيا مقاربا

[47]– ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد، ط1، عمان، 2008م، ص 15.

[48]– سيار الجميل: فلسفة الألوان ... ما سيد الألوان عند البشر؟؟ تاريخ النشر: 2009/03/20، الموقع: www.sayyaraljamil.com، يوم: 2017/02/20م.

[49]– ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص 14.

للإيقاع اللوني الذي تنتجه اللوحة حتى دون التصريح بألفاظ الألوان»[50]. ومنه نفهم أن النص قد يحمل صورا لونية عديدة تأتي على شكل واضح بذكر الألوان بألفاظها أو دون التصريح بها.

وبما أن اللون وسيلة للتعبير عن العاطفة الإنسانية، فقد يحمل كل لون دلالة ورمزية تكشف عن خبايا النفس، «وقد يحمل اللون الواحد أكثر من رمزية، فدلالات الألوان متعارضة مثلا اللون الأحمر الذي يحمل دلالة الحب والحرب، أي أن دلالات الألوان تتغير بتغير الحالة النفسية والاجتماعية إلى جانب عامل الذوق، ومن التجارب التي ذكرت في تأثير اللون في النفس والسلوك ما قيل عن اللون الداكن يبعث على الملل والحزن فمثلا "جسر بلاك"* في لندن اشتهر قديما بكثرة حوادث الانتحار بسبب لونه الداكن القاتم، وقد غير هذا اللون إلى لون آخر وهو الأخضر الذي عرف بعدها بانخفاض الحوادث الانتحارية»[51].

وفيما يلي سنحاول أن نكشف عن أسرار بعض الألوان وما يخفيه كل لون من دلالات ورمزيات وإيحاءات خفية.

1) اللون الأخضر:

للنص الأدبي علاقة وطيدة بالطبيعة الخلابة ورونقها لذلك نجده كثير الاستخدام لعناصرها، فلما نقول لونا أخضر فإننا نقول الحياة، الخير، الربيع، المرح، الأمل والجمال، والنماء. وغالبا ما يستعمل هذا اللون للتعبير عن جمال الطبيعة بصفة خاصة و جمال الوطن بصفة عامة، وهو لون يبعث الطمأنينة والراحة في النفس، «كما أنه اللون الوحيد المتفق على دلالته المريحة للنفس الإنسانية»[52].

إلى جانب أنه لون الزهد والتصوف عند المسلمين، «فهذا اللون ينطوي على هالة محببة في نفوس المسلمين، تكونت حوله على مر العصور وهو في الوقت نفسه رمز للجنة التي وصفت بهذا اللون في القرآن الكريم»[53].

---

[50]– ينظر: فاتن عبد الجبار جواد: اللون لعبة سيميائية، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، ط1، 2010/2009م، ص 7.

*– **جسر بلاك:** هو الذي يعرف بجسر الانتحار، لأن أغلب حوادث الانتحار تحدث من فوقه، غير لونه الأغبر القاتم إلى الأخضر الجميل، ما سمح بانخفاض حوادث الانتحار.

لون إيجابي 100% نقلا عن: أ. وليد عرابي: جسر الانتحار الأغبر في لندن، وزارة التربية والتعليم المصرية، نشر: 17 ماي 2016، موقع: www.fekra.com، تاريخ: 2017/02/23.

[51]– ينظر: ابتسام مرهون الصفار: جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2010م، ص 71.

[52]– المرجع نفسه، ص 71.

[53]– ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص 30.

بمعنى «أن الإنسان المسلم مال منذ القديم إلى هذا اللون وأحبه محبة طمعه في الجنة، التي دلت على الخير والراحة من كل شر، كما أن هذا اللون عبر عن الترتيب والتنظيم وتوازن الشخصية، كما أنه عبر عن النمو والتجدد في الحياة و كذلك السلام والأمن»[54].

ومنه يتضح أن اللون الأخضر دل ورمز على الحياة والنمو والخير وكذا الطمأنينة والأمان، وتوازن النفس فتكون متزنة سوية لا مختلة.

2) اللون الأزرق:

في كثير من النصوص نجد هذا اللون يحمل دلالة الصفاء فهو لون «السماء والبحار والمحيطات وهو لون الشوق والليل الطويل الذي ينتظر شروقه»[55]، كما أنه من الألوان التي تبعث الهدوء والاطمئنان في نفس الإنسان، «وهو رمز الصداقة والحكمة والخلود، رمز الصبر والثقة والاحترام»[56]، إلى جانب دلالات يظهر بها بنسبة قليلة وهي الحزن والكآبة والضياع، غير أنه من الألوان التي «تعبر عن الانفعالات الساكنة والمستقرة والهادئة والمسيطرة عليها بشكل جيد»[57]، ربما هذا ما جعله اللون المفضل في المستشفيات لأنه يساعد المريض على الشفاء ونفس السبب جعل الكاتب يكثر من استعماله في التعبير عن مكنوناته النفسية.

3) اللون الأحمر:

يأخذ اللون الأحمر في كثير من الأحيان دلالة الدم أي العنف، الغضب، الظلم، الاستبداد، القتل والموت.

وفي النصوص الحديثة عرف هذا اللون دلالات أخرى كانت في النص القديم تظهر بصورة غير واضحة مثل دلالة الحب والرومانسية «والعواطف الثائرة والحركة والحياة الصافية والمبدأ الخالد»[58]، أي أنه عبر عن الإثارة، الفتنة، والإغراء والجمال لون الخجل والحياء.

---

[54]- حسين صالح: الإبداع وتذوق الجمال، دار دجلة، عمان - الأردن، ط1، 2008م، ص 83.

[55]- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة دار الوراق، عمان – الأردن، ط1، 2008م، ص 113.

[56]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، ط1، 2004، ص 128.

[57]- حسين صالح: الإبداع وتذوق الجمال، ص 80.

[58]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 125.

وهذا اللون أيضا رمز إلى «الحرب والدمار والنيران وسفك الدماء»[59]، لكنه في نفس الوقت «سبيل الانتصار والكرامة فهو لون الوفاء والتضحية»[60].

ومنه يتضح أن هذا اللون وإن دل على الرعب وقتل المهزوم فإنه كذلك يدل على النصر والغلبة بالنسبة للفريق الغالب.

كما أن هذا اللون هو «لون الخضاب والثياب الفاخرة التي تدل على مكانة صاحبها من رقي ورفعة، ولون الجواهر التي لا يملكها إلا الأثرياء»[61].

بمعنى أن هذا دال عن الحزن والألم إلى الزينة والسرور، فتحلت به المرأة لتحظى بالجمال والإعجاب، فهو لون يدعوا إلى التفاؤل والمرح.

4) اللون الأصفر:

لون يرمز في أغلب الأحيان للى النور والإشعاع لارتباطه بالشمس، كما أنه لون الذهب أي لون الزينة والتزيين، ذلك أنه «لون يعبر عن الفرح والسرور واهتمامات عقلية وفكرية وميول صريحة»[62]، وقد عبر به الأدباء عن واقعهم المأساوي، الذي يعيشه الوطن العربي، أي يجسد الحالة النفسية للكاتب، فهو لون البؤس والذبول والحزن والقلق، كما أنه لون الغيرة والحسد ولون الغدر والخيانة، ولون فصل الخريف في تساقط أوراقه، التي تكون خضراء فإذا بها صفراء ميتة ، ولون الصحراء القاحلة الجافة. «ومن المعروف أن اللون الأصفر ظل يحمل الدلالة السلبية على أنه لون المرض والتبرم من الحياة والتحفز نحو عالم أطهر، وفي النبات عكسه الأخضر، وبالتالي فإنه يتحمل الدلالة العكسية له من جذب ومحول وشحوب»[63]. بمعنى أن هذا اللون يأخذ معناه من السياق الذي يرد فيه، فمنه ما يعني المرض أو الجفاف أو الذبول حتى أننا نرى بالفلاح الذي يفرح ويتفاءل بالأخضر ويتشاءم من الصفرة والذبول.

---

[59]– قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، ص 113.

[60]– ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص 45.

[61]– أمل محمود عبد القادر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات نموذجا، أطروحة قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، نابلس – فلسطين، 2003م، ص 179.

[62]– حسين صالح: الإبداع وتذوق الجمال، ص 83.

[63]– مرضية آباد : دلالات الألوان في شعر يحي السماوي، مجلة إضاءات نقدية (فصلية)، العدد 8، 2012م، ص 27.

5) اللون البرتقالي:

هو لون رومانسي عاطفي، وهو لون غروب الشمس ولون «يرمز إلى الانجذاب والذوق والشوق»[64]، أي هو مزيج بين الحرارتين، حرارة اللون الأحمر و إشعاع اللون الأصفر وبهما معا يكون لونا حركيا يبعث الأمل في نفس الإنسان.

6) اللون الأبيض:

هون لون الصفاء والايجابية، يميل إليها أكثر من السلبية، فبمجرد أن نذكر الأبيض يخطر في أذهانها النقاء، والطهارة، والسلم والسلام، كما أنه أساس الألوان؛ أي تخرج منه جميع الألوان الأخرى، وهو اللون المحبب إلى نفوس المسلمين، «حيث لازلنا نراه مفضلا عند رجال وشيوخ الدين»[65]، كما أنه يحمل دلالات سلبية في كونه لون الكفن، أي يحمل رمزية الموت والفناء إلى جانب الاستسلام يقال: «رفعت الراية البيضاء أي الاستسلام وإعلان الطاعة»[66]، ويرمز كذلك إلى «التشاؤم والاقتراب من الخروج من الدنيا لارتباطه بلون الشيب»[67]، فرؤية الشيب وانتشاره معناه قرب الأجل ومغادرة الحياة.

7) اللون الأسود:

يتفق أغلب الأدباء على أن اللون الأسود لون سلبي وهو اللون الأكثر استعمالا في النصوص القديمة والحديثة لأنه ربما يجسد الواقع الأسود الذي عاشه ويعيشه الوطن العربي، فهو لون الشؤم والدمار والحزن والظلام والكآبة وهو «كابوس لوني يرمز إلى عدم وجود اللون كما أنه نقطة امتصاص الألوان جميعا (...) ورمز الخوف من المجهول والميل والتكتم والعدمية والفناء والصمت»[68]، لهذا للون الأسود قداسته كونه كساء للكعبة، البيت القدسي

---

[64]- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، ص 113.

[65]- صالح ويس، الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 124.

[66]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، دار عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1982م ، ص 70.

[67]- ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص 77.

[68]- صالح ويس، الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 124.

أي مكة المشرفة «فقدت أناسا كانوا حولها فلبست السواد حزنا عليهم»[69]. ومنه يتضح أن هذا اللون وإن دل على شيء «فإنه دل على الحزن والألم والموت»[70]، كما أنه استخدم في الغزل كسواد العين وسواء الشعر.

8) اللون الرمادي:

قليلا ما يتعامل الكتاب مع هذا اللون، وهو يرمز إلى «التداخل والنفاق والضبابية في كل شيء»[71]، كما أنه لون يعبر عن «الحياد و هو في أي مكان يحل فيه يدل على الهم و الشقاء (...) يدل على الرغبة الجامحة للانتصار على الآخرين (...) ويرمز إلى الانتهاء واليأس والجمود إلا أنه يبقى لون الدهاء والتحذير من العمر والخوف»[72].

ومنه نستدرك أن للألوان القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان، كما أن للألوان قدرة عجيبة تكشف لنا عن شخصية هذا الفرد، كما أن كل لون يرتبط بمفهوم نفسي معين يوضح لنا الحالة العاطفية أو الفكرية، التي يعيشها لا ريب فتتجلى في أدبه أو عمله الكتابي كفن مليء بالرموز والدلالات المعبرة عما يحسه داخليا ويفكر فيه عقليا.

[69]- منير محمد الجنباز: كسوة الكعبة الشريفة لماذا سوداء؟، مجلة الألوكة الثقافية، الموقع: www.alujag.net، تاريخ: 2017/04/24م، 21:36 مساء.

[70]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 186.

[71]- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، ص 113.

[72]- صالح ويس، الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 129-130.

المبحث الثاني: الصور التخيلية للألوان في الأعمال الأدبية

إن اللون موضوع معقد، وهو جزء من خبرات الإنسان الإدراكية والطبيعة للعالم المرئي، واللون لا يؤثر في قدرة الإنسان علي التمييز فقط، بل إنه يغير المزاج والأحاسيس، وإن الألوان من أكثر الأشياء جمالاً وخصوبة في حياة البشر؛ فيها أثري الإنسان حياته، وأضفي عليها من بديع الجمال وبهائه ما لا يحدّه واصف أو يحيط به خيال.

فالألوان ليست خطوطاً، أو رسومات مختلفة، أو مسحات شكلية خالية من دلالات جمالية، وتعبيرية ورمزية، وفي بعض الأحيان تزينية؛ بل هي صور تعبر عن موضوعات الحياة، وانفعالات الفنان بها، والتدقيق في الآثار الأدبية.

فنجد الأدباء يوظفون اللون ودلالاته في صور مختلفة؛ محققا بعضهم انزياحا في استخدام الألوان عن المعاني والدلالات التي تعارف الناس عليها؛ فكان لذلك أثر بالغ في اكتمال صور أدبية وفنية رائعة.

فالنص الأدبي يكتمل لنا تكتمل صوره، فالصورة تشكيل جمالي لها أثر في النفس، فهي إبداع يثير الخيال والعاطفة والصورة الأدبية تتطلب أنماط وأساليب فنية تخدمها بشكل إيجابي، واللون أبرز ما تقوم عليه الصورة فهو المحرك الفعلي لها فارتباط الصورة باللون ارتباط وثيق خاصة في إبراز الشكل وصفته ورسم معالم الصورة في ذهن ومخيلة المتلقي، كما يعمل اللون أيضا على «بث الحياة في الجوامد بطرق التشبيه والتمثيل في شكل صورة بصرية»[1].

وأما عن مصادر الصورة فهي الخيال، الإدراك والحس، والبصيرة، «فحين تدور في ضمير الشاعر فكرة تلح عليه مصحوبة بعاطفة قوية، فإنه يندفع للتعبير عن هذه المشاعر التي تضغط عليه ضغطا شديدا، فيخفق عن نفسه بنقل إحساسه إلى الآخرين، فيستشير طاقة الخيال، وهي الطاقة التي تجمع عناصر متفرقة من الذاكرة والعقل، لنصنع منها صورة»[2].

وهذه الصورة هي التي تترجم عاطفة الشاعر وتفصح عنها، وهي التي تؤثر فينا فتجذبنا إلى الأديب وفكرته المطروحة، فالفكرة في النص الأدبي تختفي وراء العاطفة والخيال.

[1]- ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص 186.

[2]- خالد بوزياني: الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية عند البلاغيين والأسلوبيين، مخطوط دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007م، ص 129.

يعد الشعر من أكثر الفنون التي جاءت فيه صور عديدة للألوان وسماتها ودلالاتها، باعتباره يمتلك الطبيعة التصويرية؛ فهو «كلام شعري إيحائي تخيلي يقوم على الصورة التي تكشف عن الجوانب الخفية في التجربة الفنية»[1].

فالمتتبع لتوظيف الألوان في الأعمال الأدبية وبخاصة منها الشعر يرصد طغيان بعض الألوان في الاستخدام، ومنها اللون الأسود الذي جاء في صور مختلفة.

1) اللون الأسود وصوره التخيلية:

الأسود من أكثر الألوان ورودا في الأدب العربي؛ فهو أكثرها دلالة، وذلك لارتباطه بأشياء عديدة في البيئة والإنسان نفسه، ومن هنا اختلفت الدلالات فتارة يعد مصدر قوة، وأخرى مصدر حزن وتشاؤم، تارة يدعوا إلى الفخر والاعتزاز، وأخرى يكون مدعاة للتشاؤم، وإذا تتبعنا مواطن هذا اللون في الإنتاج الأدبي والصور التخيلية التي جاء فيها نجده أولا في الشعر على النحو التالي:

الأسود هو أكثر الألوان المحببة للشعر والعين واللثة، والشفاه، وهي الصفات التي طالما تغنى بها الشعراء ومجدوها في معشوقاتهم، ومن ذلك قول امرؤ القيس في الشعر الأسود:

وفرع يزين المتن أسود فاحم أثيث* كقنو النخلة المتعثكل[2].

فالشاعر هنا أدرج اللون الأسود للتعبير عن صفة الجمال؛ فهو هنا يصف شعر محبوبته بالأسود الفاحم، فالصورة التي جاء عليها الأسود كما أرادها الشاعر أن تكون معبرة عن الجمال، فالسواد دليل على الزينة، وهذا أمر محبب في الشعر؛ فالشاعر وظف اللون الأسود هنا توظيف إيجابي ليدل على الجمال والزينة، ومن ذلك أيضا قول النابغة الذبياني في وصف محبوبته كذلك:

---

[1]- زكية يحياوي: الصورة اللونية في التجربة الرومانسية، ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي أنموذجا، مخطوط ماجستير، جامعة تيزي وزو، الجزائر، ص 02.

*- أثيث: كثيف.

**- المتعثكل: خرجت قنواته

[2]- امرؤ القيس: الديوان، دار صادر، بيروت، د.ط، 1998م، ص 44.

ويفاحم رجـــل اثيث نـبتـــــــه كالكرم مال على الدعام المسند[1].

فهو يصف شعر المرأة بالأسود الفاحم الكثيف المنسدل كأغصان الكرمة، وهي صفات محببة في المرأة وشعرها الكثيف الذي كان شديد السواد.

كما نجد أن الأعشى وظف صفة السواد على صورة جناح الغراب الشديد السواد في التغزل بالشعر، إذ يقول:

وإذ لمتي كجناح الغداف ترنو الكعاب لإعجابها[2].

فالملاحظة هنا هو إعجاب الشعراء باللون الأسود ومدحه في الشعر، ومحاولتهم البحث عن صور لتدل على شدة هذا السواد، فهو يشبه جناح الغراب الأسود الضخم، على غير العادة في توظيفه في الحسن والجمال والزينة، لأن سواد الغراب غالبا ما كان يدعوا إلى التشاؤم والسلبية.

كما صوروا جمال الشعر وسواده بالفحم وبالظلام وغيرها من الأمور البينة السواد.

يرتبط اللون الأسود بالموت والحزن والحداد غالبا، ومن صوره الخوف من المجهول وراء الظلام، فالموت ظلام وكذلك الحزن والحداد، واللون يستمد دلالته من السياق الذي يوظف فيه لأن «السياق وحده هو الذي يحدد وظيفة اللون وفاعليته»[3].

يقول السياب في قصيدة (أغنية في شهر آب):

تموز يموت على الأفق

وتغور دماه مع الشفق

في الكهف المعتم والظلماء

نقالة إسعاف سوداء

---

[1]- النابغة الذبياني: الديوان، دار صادر، بيروت، د.ط، 1998م، ص 41.

[2]- الأعشى ميمون بن قيس: الديوان، دار صادر، بيروت، د.ط، 1994م، ص 24.

[3]- الشيتوي صالح: رؤى فنية – قراءات في الأدب العباسي – جماليات اللون في شعر بشار بن برد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 11.

وكأن الليل قطيع نساء

كحل، وعباءات سود

الليل خباء

الليل نهار مسدود[1].

فكل هذا التوظيف؛ الذي فعل دلالة اللون الأسود، وجعله مهيمنا على مفردات المقطع الشعري، والتي جسدتها الصور الآتية: (تغور، الكهف، المعتم، الظلماء، الليل، كحل، عباءات) هي مفردات توحي بالسواد وتمثل صورة معبرة عن الموت والفناء.

ومن بين الصور التي جاء فيها اللون الأسود معبرا عن دلالة سلبية، عندما أقترن بالمعاناة وأصبح رمزا لها؛ إذ أضفت صفة السواد دلالة على شدة المعاناة، وهذا ما نجده في قول الشابي:

وشعـــوب ضعيفـــة تتلـــظى في جحيم الآلام عاما فعاما

والقوي الظلـــوم يعصـــر من ألامهـــا السود لذة ومداما[2].

فمعظم الصور التي وظفت في هذه النماذج خدمت فكرة الشاعر وساهمت في إبراز معاني النص الشعري؛ سواء أكان ذلك تصريحا بهذه الصور أو تلميحا باستعمال صور من خيال الشاعر تفهم من خلال السياق.

أما بالنص النثري فالصورة التخيلية للون الأسود جاءت معبرة ووفت بغرضها ومن بينها –أي الصور– (الثعبان الأسود) الذي يحيل إلى الموت (المدافن) التي تعني القبر والظلام (غروب الشمس)، والتي تؤدي إلى اللون الأسود المتمثل في حلول الليل وظلمته الحالكة، لإذ يقول "فهد الخليوي" في مجموعته القصصية "رياح وأجراس":

[1]– السياب بدر شاكر: ديوان أنشودة المطر، دار العودة، بيروت، 1989م، ص 323.

[2]– أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، دار الجيل، المجلد الأول، بيروت، ط1، 1997م، ص 134.

«اقتربت المرأة من الشاطئ إذ صفرة الرمل الباهتة لحظة الغروب تركت اسماها الرثة قرب الشاطئ المقفر، توغلت عميقاً نحو البحر وهوت كنجمة مضيئة»[1].

فالصورة واضحة وهي غروب الشمس، الذي يحيل إلى الليل والظلام الذي يمثل اللون الأسود والذي يمثل فكرة سلبية أراد القاص أن يعبر عنها بحلول الظلام أي غروب الشمس والتي تعني (الهموم، المشاكل، فقدان الأمل، ... إلى غير ذلك).

وفي السياق نفسه نجد القاص يعبر عن الموت والظلمة بقوله: «تحلقوا حول المدفن»[2]؛ فالمدفت يعني القبر المرادف للظلمة؛ فالأسود هنا جسده القاص بالقبر أو المدفن، إذ يعبر عن اللاحياة.

بالمقابل نجد اللون الأسود في هذه المجموعة يدل على السيادة والسلطة والجرأة، إذ يقول في قصة "الظلام": «وضعت يدها على قلبها وهي تلعن الظلام»[3].

فيظهر من خلال هذا الرفض للسواد والذي تمثله هنا لفظة الظلام المرادفة للون الأسود والعباءة السوداء، أي رفض ما آلت إليه المرأة في السلم الاجتماعي، ورفض سيادة القيم المتحجرة التي فرضت عليها اللون الأسود بحجة القداسة، كي تتذكر دائما أنها تحت سلطة المقدس.

2) اللون الأبيض وصوره التخيلية:

تختلف صور ودلالات اللون الأبيض باختلاف موقعه، ويكون سلبيا أو إيجابيا، فاللون الأبيض عرف عبر العصور بدلالاته الإيجابية؛ دلالات الحسن والجمال عند المرأة، والسيادة وعلية القوم عند الرجل، ومن الدلالات المحببة لهذا اللون، إذا كان في الأسنان يقول طرفة بن العبد:

بادن تجلـــو إذا ما ابتسمت عن شتيت كأقاح الرمل غر[4].

[1]- فهد الخلوي: رياح وأجراس، مؤسسة الانتشار العربي، 2000م، ص 35.

[2]- فهد الخليوي: رياح وأجراس، ص 37.

[3]- المرجع نفسه، قصة الظلام، ص 45.

[4]- طرفة بن العبد: الديوان، شرح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، ص 41.

فالشاعر أظهر جمال أسنان محبوبته حيث يشبهها بالأقحوان النابت في الرمل، إذ يشتد بياضا مع أشعة الشمس المنعكسة من الرمال، وزاد تأكيد اللون بلفظ "غر"[1].

ولعلاقة الشعر والغزل باللون الأبيض باب واسع، فالدارس للأدب العربي يلحظ بشكل جلي ربط اللون الأبيض بالغزل، فلم يختر الشاعر العربي لونا غير الأبيض سواء أكان ذلك بدلالته المباشرة أم غير المباشرة فهذا أمرؤ القيس يقول:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقوله كالسجنجل[2].

وقال ايضا:

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل[3].

جاءت صورة البياض في صور متعددة ومختلفة، منها ما جاءت متمثلة في (الرئم الأبيض) والذي يعني الظبي الخالص البياض، ومنها ما مثلت في صورة (السيوف) الناصعة البياض عند إشهارها في وجه الخصم. «اشتق الشاعر الجاهلي اللون الأبيض من إدراكه الحسي بالأشياء المحيطة به من الآرام (الظبي الأبيض)، أو بالسيوف (الناصعة البياض)»[4].

يقول عنترة عن لحظة إجهازه على عدوه في ذكر إحدى المعارك:

وبدر قد تركناه طريحـــــا كأن عليه حلة أرجوان

فخر على صعيد الأرض ملقى عفير الخد مخضوب البنان

شككت فؤاده لما تولى بصدر مثقف ماضي السنان[5].

فالأبيض هنا وظفه الشاعر في صورة البدر هذه الصورة التي تعني الظباء وتعني النصر والتفوق.

---

[1]- ينظر: احمد عبد الله محمد حمدان: دلالات الألوان في شعر نزار قباني ص 49.

[2]- امرؤ القيس: الديوان، ص 42.

[3]- المرجع نفسه، ص 42.

[4]- حسن بن أحمد بم حسين الزوزني: شرح المعلقات السبع، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط1، 1428هـ-2007م، ص 52.

[5]- عنترة العبسي: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1995م، ص 149.

كما استعمل الأدباء اللون الأبيض في صورة لمعان البرق والسراب وضوء النجوم الهاوية، وحمرة الشرر المتطاير؛ إذ أن هذه الصور تعتمد على الحركة السريعة والخاطفة مما جعلها تتسم بصفة البياض، والتي جعلها الشعراء في أعمالهم للدلالة على الحركة السريعة، ومن ذلك مثلا ما نجده في قول امرؤ القيس:

أصاح ترى برقا أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل[1].

والصورة التي وظفها الشاعر هنا هي (لمع اليدين) إذ يشبه وميض البرق ببياض اليدين التي تصل لحد اللمعان.

أقترن اللون الأبيض بالطهارة والعفة، وهو من الألوان المحببة إلى نفوس المسلمين «حيث لا زلنا نراه مفضلا عند رجال وشيوخ الدين»[2]. وكل هذه الصور تحمل دلالات إيجابية؛ لطالما كانت صفة ملازمة للون الأبيض؛ ولكن أحيانا يأتي الأبيض ليدل على المعنى الضد من هذه الدلالات ليمثل "الموت" في المجموعة القصصية "رياح وأجراس" إذ يقول في ذلك: «لون الطهارة والنقاء»، ليدل على الموت، فالصورة التي جاء عليها والتي وظفها القاص ببراعة هي الكفن، إذ يقول: «... ارتدى جسدها الشفيف كفنا منسوجا من عروق ليل طويل»[3].

يمثل اللون الأبيض المرتبة الثانية بعد اللون الأسود في تناوله من طرف الأدباء فهو لون الهدوء والسلام والأمل؛ كما أنه قد يأخذ صورا دلالية أخرى نقيضة مثل الموت، فجاءت صورة عديدة ومختلفة في معظم الأعمال الأدبية التي تناولته، كما أن امتزاج الأبيض مع الأسود يعطي اللون الرمادي الذي يبعث مشاعر القلق والدهاء والضبابية.

[1]- امرؤ القيس: الديوان، ص 59.

[2]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 124.

[3]- فهد الخليوي: المجموعة القصصية، رياح وأجراس، قصة سطور من تراث الوأد، ص 33.

3) اللون الأحمر وصوره التخيلية:

يعد اللون الأحمر من أوائل الألوان التي عرفها الإنسان في الطبيعة؛ فهو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة وهو من أطول الموجات الضوئية[1].

كما يدخل الأحمر في العديد من الصور؛ فهو يرد في وصف الإنسان وعند الحديث عن المعارك، وفي وصف الخيل، والسماء والزينة، وهو يحمل دلالات مختلفة باختلاف السياق الذي يرد فيه.

فالأحمر في الخد هو صفة حسن ووسامة، وقد صور لنا عنترة هذا اللون في الخد "بالورد" إذ يقول:

وردف له ثقل، وخصر مهفهف وخد به ورد وساق خدلج[2].

فصورة "الورد" تمثل الاحمرار المحبب في الخد، والذي هو من صفات الحسن التي توصف بها المرأة.

يأتي اللون الأحمر في صوره السلبية عندما يكون في السماء، فهو لون شؤم وإنذار بسنة جافة، إذ يقول النابغة الذبياني:

صهب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيما قليلا ماؤه شبما[3].

ويقصد بالتين اسم جبل، وتعني كلمة يزجين بمعنى يسقن، والشيم تعني البارد، فعندما يعلوا السماء اللون الأحمر، والتي صورها الشعر بلفظة (صُهب)، فهذا يدل على الجفاف والجدب، فاللون هنا جاء في موضع شؤم.

ارتبط اللون الأحمر بالثورة والانبعاث من جديد؛ إذ جعل السياب هذا اللون رمزا للثورة والتعبير عن صور القهر والقتل إذ يقول في قصيدته (رؤيا في عام 1956م):

شدوا على كل ساق

أواه ما شدوا؟

---

[1]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 11.

[2]- عنترة بن شداد: الديوان، ص 28.

[3]- عبد القادر أمل أبو عون: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، مخطوط ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، ص 99.

أواه ما سمّروا؟

أغصان زيتوننا أثقلها الورد

ورد الدم الأحمر[1].

جاء توظيف اللون الأحمر ليؤكد هذا المعنى، فالأغصان (أغصان زيتوننا) رمز الخير والخصب والبناء أثقلها الموت والدم، بما يدل على كثرة الموت، ولم يكتف الشاعر بالمرادف اللوني (الدم) والدال على الحمرة، إنما وظف اللون الأحمر (الدم الأحمر) ليكرس حالة الدموية والقتل أيضاً.

ومن بين صور اللون الأحمر أيضا عندما يعبر عن الشجاعة والفتك بالأعداء، وفي ذلك يقول عنترة مخاطبا السباع:

اتبعني ترى دماء الأعادي سائلات بين الربى والرمال[2].

فالدماء هنا جاءت لتجسد الشجاعة، والدماء تحيل إلى اللون الأحمر الذي دعم هذه الدلالة.

4) اللون الأخضر وصوره التخيلية:

الأخضر لون يدل على الخصب والحياة في جميع السياقات التي يرد فيها، وعند تتبع هذا اللون في الأعمال والصور التي جاء عليها، نجده جاء صورة لروضة الربيع لون الثياب، والصدأ الذي يعلوا الحديد، والصورة الأخيرة نجدها أكثر ورودا في الشعر الجاهلي، إذ يقول الأعشى:

تأوي طوائفها إلي مخضرة مركوهة يخشى الكماة نزالها[3].

فمخضرة صورة للكتيبة الخضراء التي يعلو حديدها الصدأ، وهذا دليل على القوة والبسالة.

[1]- السياب: الديوان، ص 35.

[2]- عنترة بن شداد: الديوان، ص 112.

[3]- الأعشى: الديوان، ص 156.

كما يرمز اللون الأخضر «إلى الربيع المرح، الطبيعة والشباب والخصوبة»[1]، إذ يقترن عند أبي القاسم الشابي بالغابة:

ولما أظل المساء السماء وأسكر بالحزن روح الوجود

وقفت وساءلته هل يؤوب لقلبي ربيع الحياة الشرود

فتخفق فيه أغاني الورود ويخضّر فردوس نفسي الحصيد[2].

فنلاحظ أن اللون الأخضر وظف ليعبر عن عودة الفرح والأمل، فهذا اللون «يبقى على نحو عام، وعند أكثر المهتمين في فلسفة الألوان لونا ذا صلة وثيقة وجدلية بالطبيعة»[3].

شكل اللون الأخضر حضورا طاغيا في شعر "ابن سهل الأندلسي"؛ فها هو يحث على الجاهد والفوز بالجنة، والتي جاءت في صورة النعيم الأخضر، إذ يقول:

خلوا الديار لدار خلد واركبوا غمر العجاج إلى النعيم الأخضر[4].

فالشاعر يستخدم اللون الأخضر باعتباره لونا من ألوان لباس أهل الجنة؛ والمقصود بالنعيم الأخضر هنا الخلود ودخول الجنة كما وعد الله المؤمنين.

رغم إيجابية اللون الأخضر، إلا أنه يأخذ صورا سلبية، فقد ظهر في رواية "بيض الرماد" لصاحبها "مصطفى غزلاني" في صورة التذبذب بين الحياة والموت، وبين الشك واليقين، فالصورة التي استخدمها الراوي كانت صورا تدل على الاستقرار، والتغير المفاجئ من الحسن إلى الأسوأ.

[1]- نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008م، ص 179.

[2]- أبو القاسم الشابي: الديوان، ص 186.

[3]- فاتن عبد الجبار: سيميائية اللون الأخضر – القنوع والانفتاح – جوهر العلاقة في شعر أمل دنقل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 2، 2007م، ص 216.

[4]- ابن سهل الأندلسي: الديوان، قدم له: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1967م، ص 41.

بحيث يقول في هذا: «يحل الربيع فصلا من كل عام تهتز الأرض طرية ندية (...) تخضر تتسع لكل الألوان، تصفر ثم تيبس. يأتي الخريف يجرد الحقول من كل تمايزاتها يمسح العلامات (...) وكأن الأرض لم تكن يوما سوى أرض»[1].

فاللون الأخضر هنا عبر عن الحياة بمختلف ألوانها التي سرعان ما أصفرت وذبلت، فالذبول يعني القلق والشك.

كما نجد الراوي صور صورة للمكان والتي يقصد بها الأرض، والتي رسمت في بدايتها بلون أخضر حين قال: «يحل الربيع فصلا من كل عام ...»، فالربيع يحيل إلى الاخضرار يعني الحياة والتي سرعان ما أصفرت ويبست.

وفي محطة أخرى من الرواية، نجد اللون الأخضر مقترنا بالأسود، إذ جاء على صورة علم أخضر: «خيمة عليها علم أخضر لعلانا على بداية الموسم (...) قبر الولي الصالح معلقا بأثواب خضراء وسوداء مزركشة، في العمق غرفه ضيقة مظلمة (...)،لا يدخلها نور إلا ما فضل من أشعة الشمس»[2].

فاقتران اللون الأخضر باللون الأسود جعله يفقد ايجابيته، فالأثواب المزركشة باللونين والظلام، والعلم الأخضر الذي يعلن عن البداية التي تبدوا غير واضحة بعدم دخول النور إليها إلا بصيص الأمل المتمثل في أشعة الشمس.

فكل هذه المعاني والصور التي وظفها الراوي، ساهمت في توضيح فكرته والتي فعلها دلالات اللون الأخضر.

5) اللون الأصفر وصوره التخيلية:

هو أحد الألوان الساخنة، إذ هو أكثرها إضاءة ونورانية؛ حيث يمثل قمة التوهج والإشراق، لذلك كان مقدسا في الديانات الوثنية، فقد كان الأصفر رمزا للإله رع في مصر وهو إله الشمس[3].

[1]- مصطفى غزلاني: بيض الرماد، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2007م، ص 05.

[2]- مصطفى غزلاني: بيض الرماد ، ص 133.

[3]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 163.

ورد الأصفر في النصوص الأدبية في صور مختلفة؛ فهو مختلف في دلالته يحسب السياق، فمنه ما يعني الجفاف والذبول، والمرض؛ ومنه ما جاء في وصف الخمرة وجاء توظيفه صريحا في أكثر من موضع، وفي ذلك يقول عنترة:

بزجاجة صفراء ذات أسـرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم[1].

للون الأصفر درجات، إذ جاءت صورة في الأعمال حسب درجاته قمته الأصفر القاتم، كما جاء في قول النابغة:

تحييهم بيض الولائد بينهـم وأكسية الإضريج فوق المشاجب[2].

والأضريج هو الوصف الذي جاء عليه الكساء الأصفر الذي يلبسه الملك وفي السياق نفسه يصف ابن سهل الأندلسي الثوب الأصفر الذي اكتسب لونه بسبب انعكاس ضوء الشمس إذ يقول:

والشمس قد ألقت عليه رداءها فتراه يرفل في قميص أصفر[3].

ارتبطت دلالة اللون الأصفر عند السياب بالخوف والمرض والتعب والشقاء ومن ذلك ما قاله السياب في قصيدة "غريب الخليج":

ما زلت أضرب، مترب القدمين، أشعث في الدروب

ما زلت اضرب مترب القدمين أشعث، في الدروب

تحت الشموس الأجنبية

متخافق الأطمار، أبسط بالسؤال يدا نديّة

صفراء من ذل وحمى: ذل شحاذ غريب

بين العيون الأجنبية

بين احتقار، وانتهار، وازورار .. أو (خطيّة)

---

[1]- عنترة بن شداد: الديوان، ص 122.

[2]- النابغة الذبياني: الديوان، ص 12.

[3]- ابن سهل الأندلسي: الديوان، ص 41.

والموت أهون من خطّية[1].

إن الصورة التي جاء فيها اللون الأصفر هنا تعكس حالة الشاعر النفسية، والتي كان يعيشها في الغربة المليئة بالحزن والمرض والتعب، والفقر، والتي حالت دون رجوعه إلى وطنه حتى وصل به الأمر إلى

بسط يده في ذل واحتقاره وجعل يده هذه صفراء «وقد دلت الصفرة على البؤس والتعب والألم»[2].

فصورة ودلالة الاصفرار هنا جاءت سلبية، والتي اقترنت، أو كانت صفة لليد السائلة.

6) اللون الأزرق وصوره التخيلية:

لطالما ارتبط اللون الأزرق بالماء والسماء، وقد حمل بارتباطه هذا بهما دلالة إيجابية في أكثر من معنى مثلا (الحياة، التجدد، الشفافية، الأمل) إلى غير ذلك من المعاني والدلالات ففي الأعمال الأدبية والشعر خاصة نجد انزياحا لدلالة اللون الأزرق إلى دلالات أخرى، منها ما استعمله الشاعر للدلالة على العدو والشك والخوف؛ فهي معاني سلبية توصلها دلالات أليمة، من خلال تنوع الصور التخيلية التي جاءت فيها، والتي كانت مناسبة لها.

فالأزرق جعل لون الطيور الجارحة في الصيد، أو لون الحيوانات المفترسة المخيفة كالكلاب والغول، أو لون العدو، وهو في جميع الحالات لون يشير للقلق والخوف من المصير الدموي المنتظر.

أتينا لهم إذ لم نجد غير أنينهم وكنا صفائحا من الموت أزرقا[3].

فالصورة التي جاء عليها اللون الأزرق هو الموت الأزرق دليل على الشؤم أي لترهيب العدو، كما نجده في دلالة أخرى يشبه قومه بالسيف الزرقاء لقوتهم وبسالتاهم.

قرن امرؤ القيس مُضاء السيوف وحدتها بأنياب الغول، إذ يقول في ذلك:

---

[1]- السياب: أنشودة المطر، ص 435.

[2]- ظاهر الزواهرة: اللون ودلالته في الشعر، ص 117.

[3]- الأعشى: الديوان، ص 123.

أيقتلني والمشرفي مضـاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال[1].

فزرقة أنياب الغول تشبه مُضاء السيوف وحدتها؛ لذلك جعل الشاعر اللون الأزرق لون الشراسة، فصوره على هيئة أنياب غول التي هي خيال.

وفي سياق آخر يرمز اللون الأزرق إلى «السكينة والهدوء والامتداد والذكريات الجميلة والحزن»[2].

فالروائي مصطفى غزلاني يقرن اللون الأزرق بالأسود الدال على شيء سلبي، فاللون الأسود غالبا ما يدل على السلبية والهموم والمشاكل إلى غير ذلك، إذ يقول: «زرقة السماء الضاربة حد السواد»[3]؛ فاللون الأزرق يعلن على شدة الصبر وقرابة نفاذه[4]. ويقول في موضع آخر: «تهادى المساء يستجلب الليل (...) بعد حين يتدجى الظلام، بعد حين ينسل قرص فضي من وسط "اظهر اسما" ليدفع السواد بالزرقة الشفافة، كم كان الليل يثير في نفس علال رغبة عارمة في المشي لحساسات بالخفة والانتشار بما تنفثه الرطوبة والليونة الزرقاء»[5].

فالراوي يرسم صورة لونية مضاءة بألوان عذبة (زرقة شفافة، قرص فضي، الليونة الزرقاء)، غير أنه وفي الوقت نفسه يفصح عن العذاب وعن الوحدة ويعبر عن إنسان مغلوب على أمره، إنسان تائه ضائع في سواد وظلمة الليل الموحشة. فاللون الأزرق جاء هنا في صور التيه والضياع والبحث عن المكان والاستقرار.

إن المتبع لظاهرة توظيف الألوان ودلالاتها في الأدب، سيلاحظ طغيان الألوان التالية (الأسود، الأبيض، الأحمر، الأخضر، الأصفر، الأزرق) في تطرق الأدباء إليها، في حين أن هناك ألوان نادرة الورود في الأعمال الأدبية مثل (البنفسجي، البرتقالي، الرمادي، البني إلى غير ذلك من الألوان الأخرى).

فالألوان السالفة الذكر اقتصرت صورها الخيالية على تقريب الصورة من الخيال إلى الواقع.

---

[1]- امرؤ القيس: الديوان، ص 142.

[2]- نعيم الباقي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، ص 180.

[3]- مصطفى غزلاني: بيض الرماد، ص 151.

[4]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 128.

[5]- مصطفى غزلاني: بيض الرماد ، ص 16.

وتبقى لغة اللون وسيلة تعبيرية تضفي طابعا جماليا وفنيا على حياة الإنسان ولا يمكن لأي مجال غض الطرف عن جاذبية اللون وقابليته للتجاوب مع جميع الأطراف[1].

فالأعمال الأدبية لم تفوت فرصة توظيف الألوان في مختلف الصور التخيلية سواء كان ذلك في القديم أو في العصر الحديث؛ الذي احتلت الصورة الملونة الصدارة في الاستعمال الأدبي والتوظيف الدلالي، حيث اتسعت دائرة توظيف الألوان ودلالاتها في الشعر والنثر، واتخذت ملمحا جماليا وفنيا للتعبير وإيصال الأفكار.

[1]- صديقة معمر: شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر فترة (2007-1988م)، مخطوط ماجستير، جامعة قسنطينة، 2010م، ص 58.

المبحث الثالث: الأثر الفني في بناء الدلالات المعبرة والمثيرة لدى المتلقي

تعد الصورة الفنية أساس في التعبير الأدبي، فهي ليست مجرد زينة أو تحميل لفظي، وإنما هي تعبير عن نفسية الأديب في لحظة لا يمكن لأي شكل من أشكال التعبير أن يحل محلها، أو يؤدي مفادها، فوجب إذن أن تكون عضو هام في التجربة الأدبية، بمعنى «أن تؤدي كل صورة وظيفتها داخل التجربة التي هي الصورة الكلية فتساير الصورة الجزئية الشعور العام في النص، وتشارك في الحركة العامة لها حتى تبلغ الذروة في النماء، ثم تنتهي إلى نتيجتها الطبيعية التي تؤلف وحدتها العضوية النامية، ومن ثم كان على الشاعر أن يحذر من أن تضطرب صوره وتتنافر الأجزاء في داخلها، أو تتنافى مع الفكرة العامة، أو الشعور السائد»[1].

الصورة الفنية لها أهميتها في التعبير وإيصال الأفكار، وذلك من خلال تعدد أساليبها وتنوعها في طرح فني جمالي يزيد المعنى جمالا، إذ يقول في هذا عبد الفتاح نافع: «غلبت النظرة الشكلية على مفهوم العرب للشعر قديما فنبع جمال المعنى من جمال العرض، ورأوا في الشاعر المتميز نساجا يفوق شعره بأجمل التوفيق»[2].

ومن خلال تعريفه هذا نلاحظ تأثير هذه النظرة الشكلية على الشعر والأدب عموما الذي اهتم بجمال العرض، وجسد جمال اللون من خلال الشكل الخارجي، فجاء تصويرهم للجمال حسيا إلى حد كبير، وتركت هذه النظرة أثرها الجلي في رؤية الشاعر للألوان وصفاتها وما يتفرع عنها، على اعتبار أن الألوان هي جزء لا يتجزأ من الجمال الشكلي في النص الأدبي.

إذ يعد اللون عنصرا مهما من عناصر البناء الفني، بما يحمل من دلالات ذات علاقة مباشرة بالرؤية الفنية، ففي معظم الأحيان لا يرِد اللون فيما وصف له، بل يكشف عن إحساس الشاعر؛ فهو مبعث للحيوية والنشاط والراحة والاطمئنان، ورمزٌ للمشاعر المختلفة من حزن وسرور؛ حيث تساهم دلالاته الفنية والنفسية والاجتماعية والرمزية؛ لذلك ينبغي دراسة اللون في الشعر من خلال ربطه بسياق النص، فالسياق الشعري هو الذي يحدد وظيفته وفاعليته.

---

[1]- نافع عبد الفتاح: الصورة الفنية في شعر بشار بن برد، دار الفكر، عمان – الأردن، د.ط، 1983م، ص 53.

[2]- نافع عبد الفتاح: التواصل – جماليات اللون في الشعر – ابن المعتز نموذجا، جامعة عنابة، الجزائر، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 4، جوان 1999م، ص 122.

ومن خلال هذا، يمكننا القول أن الصورة الفنية هي كل تعبير أدبي ينقل إحساس الأديب إلى المتلقي، فيثير انفعاله، ويحرك مخيلته، ويؤثر في فكره، فيجبره على تقبل الفكرة.

فأدوات الصورة الفنية، تتنوع أساليبها ومنها التشبيه، المجاز، الاستعارة الكناية، الجناس إلى غير ذلك، وبيان ذلك فيما يلي:

1) اللون والتشبيه:

عرفه القزويني بقوله: «التشبيه هو ما يجمع بين أمرين للعلاقة المشابهة بينهما»[1]، وقال عنه أبو هلال العسكري: «هو الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، وذلك في قولك: زيد شديد كالأسد، فهذا القول الصواب في العُرف وداخل محمود المبالغة»[2].

فالتشبيه أسلوب بياني، يستعان به في الأدب ليضفي على النص جمالا ووضوحا، بعقد المشابهة بين شيئين يشتركان في صفة أو أكثر.

وقد أبدع الأدباء وخاصة منهم الشعراء في تشبيهاتهم اللونية إذ يقول عنترة بن شداد في وصفه بطلا لا نظير له في الشجاعة قد طعنه برمح أسمر وسيف البيض بماني فوقع في ساحة المعركة وتخضبت ثيابه بالدماء الحمراء النازفة حتى وصلت شعره مؤكدا بذلك تفوقه على خصمه فيقول:

بأسمر من رماح الخط لدن وأبيض صارم ذكر يمان

وقرن قد تركت لدى مكر عليه سبائب كالأرجوان[3].

تظهر صورة التشبيه هنا باستعمال أداة التشبيه (الكاف)، مدى أهميتها في تجلي الصورة ووضوح الفكرة؛ فالتشبيه هنا جاء ملونا بدلالات نفسية متعددة ومعبرة، مستمدة من واقع الشاعر البيئي والفروسي المعيش بالألفاظ ومسميات كثيرة تدل عليها، فاستخدم الشاعر ومن عاصروه الألوان بشكل واسع في الوصف.

---

[1]- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ط4، بيروت – لبنان، 1975م، ص 328.

[2]- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق: علي محمد اليجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ت، د.ط، ص 19.

[3]- عنترة بن شداد: الديوان، ص 194.

فاللون ابن بيئة الشاعر يستعير منه جماله الفني، لأن الألفاظ تتغير بحسب الظروف الاجتماعية، فاللغة مادة طيعة يحور منها الشعر دلالاته اللونية؛ لذلك تتمايز اللغات فيما بينها، نتيجة اختلاف القوالب اللغوية التي تصب فيها معانيها وإيحاءاتها[1].

وفي المقام نفسه نجد عمرو بن كلثوم قد استعمل التشبيه نفسه (الأرجوان يرمز للأحمر) ولكن بـ(كأن) التي ساهمت على إضفاء صور تشبيهية ساهمت في تجسيد دلالات النص، والارتقاء به فنيا، كما في قوله:

كأن سيوفنا فينا وفيهم مخاريق بأيدي لاعبينا

كأن ثيابهم منا ومنهم خضبن بأرجوان، أو طلينا[2].

فاللون هنا يظهر لدلالة واضحة، فالألفاظ الدالة عليه كانت مناسبة؛ إذ رسمت صورة فنية معبرة.

يحتل التشبيه مساحة واسعة في شعر ابن سهل الأندلسي؛ فهو يمثل الركن الركين في ديوانه وتشبيهاته كثيرة سلك بعضها مسلك القدماء لرغبته في محاكاتهم وتعزيز صلته بالتراث، فقد مزج بين البداوة والحضارة ورسم أجمل وأبهى الصور في شعره، فمن تشبيهاته التي يقول فيها:

كالنجم أحرق ماردا وسقى الثرى من نوئه ريا ونور غيهبا[3].

يشبه الشاعر الممدوح الذي تصدى لذاك الثائر الجاهل الذي طغى بالنجم الحارق من جانب والمغيث بمطره والمضيء بنوره غياهب الظلمة وهي الشديدة السواد من جانب آخر.

ويستمر الشاعر بابتداع تشبيهاته بدقة متناهية واختبار الألوان المناسبة لكل غرض، ومن تشبيهاته:

وكأن الإبريق جيد غزال دم ذاك الغزال فيه العقار[4].

---

[1]- صديقة معمر: شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988-2007م)، ص 61.

[2]- عمرو بن كلثوم: الديوان، تح وشر: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، ص 50.

[3]- ابن سهل: الديوان، ص 69.

[4]- المرجع نفسه، ص 125.

الشاعر هنا يشبه الإبريق بجيد الغزال لطوله كما يشبه العقار وهو الخمر الأحمر بذاك الغزال، فالجامع بينهما هو اللون الأحمر.

أما التشبيه اللوني عند السياب فنجده قد خرج به من الوصف للعيون من صفته الجمالية إلى رمز آخر يحمل النقيض تماما؛ فهو رمز للمجهول والغائب المخيف الذي يصل حد العار، وهذا التوظيف جعل اللون الأسود رمز الخوف من المجهول والميل إلى التكتم، يقول السياب من قصيدة "رسالة من مقبرة":

النور في قبري دجى دون نور

النور في شباك داري زجاج

كم حدّقت بي خلفه من عيون

سوداء كالعار

يجرحن بالأهداب أسراري

فاليوم داري لم تعد داري

و النور في شبّاك داري ظنون[1].

فالعيون السوداء التي كانت صفة جمالية محببة؛ جاءت تحمل دلالة أخرى في هذه القصيدة، وذلك بعد تشبيهها بالعار الذي يحمل صفة الحقد والكراهية، واتصالها بلون يحمل معنى الظلام والانطماس والخفاء يزيدها بعدا قبيحا إلى حد بعيد.

كما نجد أن التشبيه عند نزار قباني لم يقف عند حد المألوف من بساطة التصوير، بل رسم تشبيهاته اللونية من خيالاته، وبذلك جدد في مستوى التشبيه، إذ يقول:

ودون هوانا تقوم

تخوم طوال طوال

[1]- السياب: ديوان أنشودة المطر، ص390

كلون المحال[1].

فالشاعر هنا جعل المحال لون ليشير المتلقي ويجذبه إلى عالمه الخاص التخيلي بقالب لغوي مرتكز على أداة التشبيه الأكثر مباشرة وهي (الكاف).

أما التشبيه في النص النثري نجده في المجموعة القصصية "البحث عن اللون" لصاحبها "حسن البصام"، الذي أدرج تشبيهات لونية ساهمت في استحضار صور جمالية وفنية ذات مستوى تعبيري وفني عالي، إذ يقول في قصة "اعتراف رجل خارج المستطيل": «... أغرمت بوضوحه، فحين ابتسم يبتسم، وحين يعبس وجهي يعبس هو الآخر، فتصير سحنته قائمة كسحنة رجل مقهور، جلست محدقا في تفاصيل وجهه الداكنة، كان يوشك أن يهمي يفيض رذاذ أسود»[2].

فالقاص هنا لم يفصح عن اللون المشبه بل استعان برديف له هو (قاتمة) وجعل المشبه به (رجل مقهور) يؤكد معنى اللون "القهر" والذي جسد وجه الشبه بينهما هو اللون الأسود الذي أفصح عنه فيما بعد (رذاذ أسود) (وجهه الداكنة).

فالمعاني المكثفة للمفردة أو للتركيب وظيفة محفزة في استثارة ذهن القارئ، وتشكل له وجودا ملموسا من خلال تكوين صور ذهنية تؤسسها تراكيب القاص الفنية والتي تعتمد على قدراته اللغوية.

ونخلص لنقول إن صور التشبيه تجسد دلالات نفسية بشكل مكثف ومعبر مما يعطي للمتلقي دورا في فهم هذه الصور التي أضفت لمسة جمالية وسحرية على مستوى النص لما تحدثه من استحسان في نفسية القارئ.

فالدوافع النفسية تتفرد في تجسيد الأحاسيس والمشاعر في نتاج الأديب من خلال رؤيته لتلك الحالة فتأتي في صورة المقارنة في التشبيه، فتبعث في المتلقي حالة التأمل والمقارنة بين الحالتين اللتين تجمع بين مكوناتهما صفة واحدة فتصل إلى حالة التلاحم، ويكون ذلك باعثا لرسم صورة التشبيه المعبرة والمؤثرة في المتلقي.

=[1]- نزار قباني: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج1، ط1، بيروت – لبنان، 1997م، ص 32.

[2]- حسن البصام: البحث عن اللون، الموقع: www.arabfan.com/magazine.

2) اللون والاستعارة:

عرف الجاحظ الاستعارة بأنها تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه[1].

نجد أيضا من الصور الفنية التي لجأ إليها الأدباء والشعراء خاصة في أعمالهم الأدبية الاستعارة، فنجد عند ابن سهل الأندلسي أنها لم ترقى إلى مستوى التشبيه ومع ذلك لم يستغن ابن سهل عنها، إذ لها فضل كبير في تصوير عاطفة الشاعر وإحساسه تصويرا قويا، فراح ابن سهل يجمل أسلوبه بالاستعارة، مما يدل على رهافة حسه وسعة خياله وغرض الشاعر في ذلك هو استعارة لفظ معين ووضعه في مكان معين ليؤدي دورا معينا، وفي هذا الباب يقول:

والصبح في حلك الدجى متنقب وحلى الدراري موشك أن ينهبا[2].

إذ يقول إن الصبح يأس من ظلمة الليل الذي اشتد سواده فهو حالك، فالشاعر هنا شخص الصبح وجعله إنسانا أي المرأة التي تلبس النقاب لتستر به وجهها عن أعين الناظرين، ولكن حلى النجوم التي تزينه توشك أن تولي حين ينتهبها ضياء الفجر.

ونجد نزار قباني يقول:

في مرفأ عينيك الأزرق.

أحلم بالبحر وبالإبحار

وأصيد ملايين الأقمار[3].

فالشاعر هنا جعل العيون بحر يبحر فيها، ذلك أن لون البحر أزرق فشبهه بالعيون الزرقاء، التي تذكره بالبحر وما ينطوي عليه من متاهات، وتأملات البحر وما يخفيه من الأسرار والعجائب، كما شبه العيون بالمرفأ والتي تدل على السكينة والهدوء.

---

[1]- الجاحظ: البيان والتبيين، ج1 ,ص153.

[2]- ابن سهل: الديوان، ص 66.

[3]- نزار قباني: الأعمال الشعرية الكاملة، ج1، ص 479.

فالصورة الاستعارية اللونية كان لها الأثر الواضح والبالغ في رسم المعاني والدلالات، كما ساهمت في إعطاء القصيدة منحا جماليا، فأصبح لا يتجزأ من الصورة الشعرية.

3) اللون والكناية:

حمل العمل الأدبي بداخله لوحات تصويرية ملونة بألوان مرئية أو لفظية أو حتى حسية ذهنية على أنه إضافة جمالية لابد منها، وعلى ضوء هذا يقول تولستوي: «إن الفن هو أن يثير المرء في نفسه شعورا سبق أن جربه وأن يثيره في نفسه يعمد إلى نقل هذا الشعور بواسطة الحركات والخطوط والألوان والأصوات أو الأشكال المعبرة عنها بالكلمات»[1]؛ أي أن يصور الكاتب الأديب الوجود مستعملا الكلمات، وهذه الكلمات تقوم بتحريك مشاهد هذه الصور، ومن هذه الصور المعتمدة الكناية، وتعد الكناية جزء من أجزاء الصورة الشعرية البيانية، «وهي تعني إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى هو تاليه»[2]، ومن أمثلة الكنايات التي جاء فيها ذكرها للألوان قول ابن سهل في ديوانه:

لو لم تكن من دم العنقود ريقه لما اكتسى خده القاني أبا لهب[3].

فأبا لهب في هذا المقام كناية عن اللون الأحمر في الخدين، ذلك أن الحد صار أحمرا ومن (أبا لهب) يتضح المعنى الخفي على أنه الأحمر الذي لون الخدين، وبذكره لهذا المعنى فإن القارئ للبيت يتأثر بهذه الصورة البيانية التي وظفها ابن سهل ليجعل من بيته أجمل وأروع، فيطرق نفس القارئ ليجعله يدرك المعنى من اللهب ألا وهو لون النار المشتعلة، بلونها الملتهب على أنه الأحمر المتوهج.

ويذكر له كناية أخرى متحدثا عن اللون الأسمر في قوله :

أنتـمْ بنيتـمْ ركنهُ فلتدعموا ذاكَ البناءَ بكُلِّ ألعسَ أسْمرِ[4].

[1]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 21.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1979م، ص 52.

[3]- ابن سهل: الديوان، ص 81.

[4]- ابن سهل: الديوان، ص 141.

والألعَسِ يقصد بها الأسمر، وقد استخدمها الشاعر كناية عن الرمح، فقد وظف لون الرمح وهو الأسمر.

وفي موقف آخر نراه لم يستعمل اللون بلفظه المباشر، بل استعمل ما يدل عليه وهو حداد الليل في قوله:

يشق حداد الليل منه براحة محضية أو ذرعه بسنان[1].

وهي كناية عن لونه الحالك السواد، واستعماله لكلمة حداد دلالة على أن هذا اللون استعمل للحزن والنكبة.

ونجد اللون والكناية في شعر فيدريكو لوركا*، الذي تغنى بسحر غرناطة وجمالها، وفاحت رائحة اللون من بين كلماته، وأضفت على شعره جاذبية خاصة، حتى «أنه لم تخلوا قصيدة من قصائده من ذكر الألوان، وطغيان بعضها على آخر، وهو ما شكل قيمة فنية ذات بعد نفسي خالص، تكاد تكون لوحة تشكيلية يرسم من خلالها مناظر أندلسية غرناطية»[2]. وجملة كتاباته الشعرية قصيدة "الحضور الرهيب" التي يقول فيها:

أرى الليل الجريح في حزن

يتولى، يصارع الظهيرة

أقاوم غروب سموم خضر

وأقاوس يئن منها مكسورة الزمان[3].

---

[1]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي ، ص 215.

*- **فيدريكو لوركا**: شاعر إسباني وكاتب مسرحي ورسام وعازف بيانو، كان مؤلفاً موسيقيًا، ولد في فوينتي فاكيروس بغرناطة في 05 ماي 1898. ينتمي لشعراء القرن 20 كتب عدة مسرحيات منها: عرس الدم، الإسكافية العجيبة. أقام في غرناطة، وقتل إعداما بالرصاص في غرناطة يوم 09 أوت 1936م وعمره 38 سنة، الموقع: https://ar.wikipedia.org، بتاريخ: 2017/02/26م.

[2]- زاهر بن بدر الغسيني: دلالات الرمز اللوني في شعر فيدريكو لوركا (1898-1936م)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عمان – الأردن، د.ط، د.ت، ص 122.

[3]- المرجع نفسه، ص 125.

ففي هذه الأبيات نرى الشاعر لوركا يتكلم مستعملا الألوان على أنها أضواء تجسد التعاقب الأيدي بين الليل والنهار؛ أي بين السواد والبياض، والملفت للنظر في هذه المقطوعة الشعرية أن الليل انطبع بلونين مختلفين، الليل الجريح والمقصود به لون الدم الأحمر، على أن الليل أسود، ولكنه جريح أصبح يأخذ لونا آخر إلى جانب السواد؛ أي الأسود الذي تخلطه الحمرة، وهي كناية عن شدة الحزن والألم، وكناية أخرى في قوله "غروب أخضر" الذي ربما لا يحدد اللون فقط، بل حتى المكان الذي شوهد فيه الغروب، فانطبع في ذاكرة لوركا على ما صوره في قصيدته الشعرية، إذ قد يكون بستانا أو غابة أو حقلا، فهي كناية عن المكان الذي حدث فيه هذا الغروب.

ويقول الشاعر الحداثي معين بسيسو:

يا وطني أين الأغنية تساق؟

خيط من دمك الخفاق يراق

من أجل شلال مريا صفر

يتكسى في وجهي

شلال مريا سوداء[1].

فنلمح الشاعر قد استعمل اللونين الأسود والأصفر كناية عن الألم الذي سكن ذات الشاعر، والدم الذي يراق والأغلال التي كبلت الأيادي ومحيط بالجميع بمن فيهم نفس الشاعر، فالملتقي يحس انطلاقا من هذا اللونان ودلالاتهما التي لمح إليها الشاعر، حتى كلام الشاعر عن وطنه هي تضحية تتألم ورد على ذلك الاصفرار والسواد، وأملا باسترجاع الحرية.

بمعنى أن اللون رافق قصائد الحرية في الشعر الحداثي، ممثلا «الموقف الذاتي والفكري للشاعر مميزا اللون الأحمر والأسود، ليعبر عن الألم والحزن والظلم الذي كانت تعيشه البلدان العربية التي عانت من ويلات المستعمر»[2].

[1]- ماجد فارس قاروط: تجليات اللون في الشعر الغربي الحديث، تاريخ: 2015/10/15م، الموقع: www.almaktaba.net، يوم: 2017/02/26م.

[2]- ينظر: المرجع نفسه

4) اللون والتضاد:

جاء التضاد بمعنى الخلاف، بحيث يقول ابن دريد: «ضد الشيء خلافه»[1]، ولا يمكن أن يلتقي المتضادان أيدا، ففي لسان العرب: «الضد كل شيء ضاد شيئا ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك»[2]، حتى أن ابن منظور بعد هذا التعريف يورد مجموعة التعريفات لبعض العلماء، فيقول: «ابن سيده: ضد الشيء، وضديده، وضديدته خلافه، الأخيرة عن ثعلب، (...)، والجمع أضداد، وقد ضاده وهما متضادان»[3]. والتضاد يستعمله الأدباء في أعمالهم ليضفوا على نصوصهم جوا نفسيا انفعاليا «إذ أنه يعطينا ثنائيات ضدية تعبر عما يجول في داخله والتي يرمى الشاعر من خلالها وتعزيزها في مخيلة المتلقي على أن التضاد كما قال أبو هلال العسكري: "الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطية أو بيت من القصيدة مثل الجمع بين السواد والبياض"»[4].

ومنه يتضح أن الشاعر يلجأ إلى التضاد من أجل إبراز المعنى وتمييزه بعد «أن يقدم نصا مفتوحا للقراءة، ومنه إلى المتلقي الذي يقوم بعملية تأويل اللغة وأبعادها الدلالية معتمدا على الإيقاع والخيال الذي يعد المصدر الأول في وظيفة الصورة التخيلية، فالمتلقي هو القادر على ربط أجزاء الصورة الأدبية»[5]. ومنه نفهم أن المتلقي عند قرائه للعمل الأدبي فأنه يفهم مضمونه مستعملا العقل والعاطفة فيحلل ليصل إلى الصورة الفنية، ولكننا سنقف عند الجانب الذي «تتلاقى فيه خلفية التشكيل بهذه الوسائل الدلالية النفسية والجمالية (...) وتقدم الطباق والمقابلة والتضاد سواء من ناحية بنائه، أو من ناحيته الوظيفية الإيحائية، وذلك لأن المفارقة التصورية فيه —التضاد– تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها»[6]. كمل يوجد «التضاد بمعنى التقابل بين الأبيض والأسود (...)، كما أن هناك انسجام بين

---

[1]– ابن دريد: جمهرة اللغة، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، المجلد الأول، ط1، 1423هـ-2005م، ص 98.

[2]– ابن منظور: لسان العرب – مادة (ض.د)، دار صادر، بيروت، ط3، 1417هـ-1997م، ج3، ص 263.

[3]– المرجع نفسه، ص 263-264.

[4]– أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، ص 316.

[5]– ينظر: مجلة اللغة والاتصال (مجلة علمية محكمة)، جامعة وهران، الجزائر، العدد 15، جانفي 2014م، ص 16-17.

[6]– حافظ المغربي: صورة اللون في الشعر الأندلسي (دراسة دلالية وفنية)، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2008م، ص 80.

المتضادات يعرف باسم انسجام المكملات المشطورة، وفيه يقترن اللون ليس بمضاده وإنما باللونين المجاورين له»[1].

ونجد لاستعمال اللون كمثال عما سبق في «تضاد الأحمر –ليس مع مقابله الأخضر– وإنما مع الأخضر المصفر»[2]، وتوضح التضاد في الأعمال الأدبية فيما يلي:

كقول أبي تمام:

تردَّى ثيابَ الموتِ حُمْراً فما أتى لها الليلُ إلاَّ وهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خَضْرُ[3].

ففي هذا البيت تضاد بمعنى المخالفة، وهو ما قال به ابن سنان الخفاجي في "سر الفصاحة" قائلا: «فإن الحمرة والخضرة من المخالفة، وبعض الناس يجعل هذا من الطباق»[4].

ويشير أيضا للتضاد المعنوي، وهذا ما نفهمه من قوله عن الطباق: «أن يكون أحد المعنيين مضادا للآخر أو قريبا من المضاد، ومما يستحسن من الطباق قول المتنبي:

أَزورُهُم وَسَوادُ اللَيلِ يَشفَعُ لي وَأَنثَني وَبَياضُ الصُبحِ يُغري بي»[5].

فإننا نجد الشاعر قد استعمل الأضداد موظفا اللون في سواد وبياض مع الليل والنهار ليوضح المعنى ويجليه أكثر، ويؤثر في نفس القارئ.

ومما تنزل منزلة الضد شدى به الشريف الرضي حين قال:

ابكي ويبسم والدجى ما بيننا حَتّى أضَاءَ بِثَغْرِهِ وَدُمُوعي[6].

---

[1]– أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 139.

[2]– المرجع نفسه، ص 139.

[3]– إليا الحاوي: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981م، ص 671.

[4]– ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، اعتنى به وخرج شعره: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م، ص 195.

[5]– المتنبي: الديوان، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1426هـ/2005م، ص 448.

[6]– الشريف الرضي: ديوان الشريف الرضي، شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، المجلد 1، ط1، 1415هـ/1995م، ص 593.

ونلحظ أن الشاعر قد وضع الضد بمنزلة المخالفة في قوله الدجى والإضاءة، وهو توظيف للون ليظهر لنا السواد من البياض، واصفا معناه الذي نفهم ضد الليل والصبح، وهذا الاستعمال له سيجعل المتلقي يفكك الصورة ليصل إلى معناها.

كما نجد في قول عمرو بن كلثوم المخالفة بما يقارب من الضد قوله:

بِأَنَّا نُوْرِدُ الرَّايَاتِ بِيْضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رُوِيْنَا[1].

والمخالفة في قول الشاعر هو بين اللفظتين (بيضا وحمرا) مستعملا اللونين بما يقارب من الضد.

ويقول ابن سهل في هذا البيت:

وكانت ليالي العيش بيضا بقربه وقد أصبحت أيامنا بعده دهما[2].

ففي هذا البيت الشعري نلمس التضاد من خلال قوله (بيضا، دهما)، فكأنما أراد الشاعر أن يقول لنا وهو يرثي هذا الرجل أن الليالي التي عشناها بقربه كانت بيضاء، ولكن بعد وفاته أصبحت هذه الليالي والأيام سوداء وحالكة، فنجد الشاعر لم يصرح بهذا اللون الأسود مباشرة وإنما أشار إليه بعبارة (دَهْماً).

ويقول ابن سهل كذلك:

رحبْ بضيفِ الأنسِ قد أقبلا وأجلُ دجى الهمِّ بشمس العقار[3].

فنلحظ أن الشاعر قد طابق بين (دجى الهم) و(شمس العقار) فهو لم يشر إلى اللون مباشرة وإنما أشار إليهما بصورة غير مباشرة، فحقق الشاعر ثنائية لونية ضدية من خلال تكثيف المعنى في هذا السياق لقوله على منوال المدح، أن قدوم هذا الممدوح قد بدد ليل الهم الأسود بنور وضياء شمس العقار، فقد طابق الشاعر بين (الدجى، الشمس) ليؤدي التضاد هنا وظيفته في إظهار سماحة الممدوح بقدومه.

---

[1]- أبو زيد القرشي: جمهرة أشعار العرب، شرحها وضبط نصوصها وقدم لها: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت، ص 119.

[2]- ابن سهل الأندلسي: الديوان، ص 190.

[3]- المرجع نفسه، ص 112.

5) اللون والجناس:

الجناس لغة: «هو المشابهة، المشاكلة، والاتحاد في الجنس ويقال له التجنيس والمجانسة والتجانس وكلها ألفاظ مشتقة من الجنس، والجنس مصدر: جانس الشيء الشيء: إذا شاكله واتحد معه في الجنس، وصفاته العظمى، وجنس الشيء أصله الذي اشتق منه»[1]. بمعنى أن الجناس حمل معنى المماثلة، بالرجوع إلى الأصل الأول على أن نقول هذا مجانس إذا كان من شكله.

أما في الاصطلاح فقد عرف على أنه: «الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعَروض والنحو»[2]. ويعرفه البلاغيون على أنه: «تردد الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في مواضع مختلفة»[3].

بمعنى أنه اتحاد في الطرفين وتشابههما في الصورة والتلفظ مع اختلاف المعنى بينهما، وقد عرفه ابن الأثير في تعريف جامع مانع بأنه: «اتفاق اللفظ، واختلاف بالمعنى»[4].

وقد استعمله الأدباء في إبداعاتهم الفنية «كونه محسن بديعي، تكمن أهميته في تقوية التناغم الموسيقي، ولأنه في أصله وجوهره نوع من أنواع التكرار»[5].

بمعنى آخر أن الجناس قصده الشعراء من أجل «دافع نفسي وجمالي»[6].

وقد ورد هذا النوع من البديع في سياق اللون في قول ابن سهل حين قال:

غنت وناصيته الظلماء لم تشب فليتها إذ كتمت الحب لم تشب بي[7].

---

[1]- أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، بيروت، د.ط، 1424هـ، ج1، ص 405.

[2]- الخليل أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ترجمة: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1424هـ/2003م، ج4، ص 455.

[3]- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان الغربي، القاهرة، د.ط، 1975م، ص 73.

[4]- محمود أحمد المفتي، قصيب محمد: الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، مجلة القسم العربي، القاهرة، العدد 23، سنة 2016م، ص 70.

[5]- ينظر: عبد الله الطيب المجذوب: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الدار السودانية، الخرطوم، د.ط، 1980م، ج2، ص 572.

[6]- المرجع نفسه، ص 663.

[7]- ابن سهل الأندلسي: الديوان، ص 81.

فنجد في هذا البيت الشعري أكثر من غرض بلاغي، فقوله "ناصية الظلماء" فهي استعارة لشعر مقدمة الرأس للدلالة على لون الشعر الأسود؛ ولكن في ذات البيت نجد الشاعر قد جانس مجانسة لطيفة بين قوله "لم تشب" إشارة إلى لون الشعر الأبيض (السواد)، وقوله "لم تشب بي" التي تعني الوشاية والنميمة والغيبة.

فالشاعر هنا لجأ إلى الجناس لتقوية المعنى ولإعطاء بيئة الجرس الموسيقي الرنان الذي يؤثر في نفس المتلقي ويجعله يتأثر بالمعنى وبمضمونه، مما يساهم في تكثيف المعنى الشعري وتعميق دلالات الألوان التي انطوى عليها النص الشعري.

وبما أن الجناس مظهر من مظاهر الزخرفة اللفظية، أن يضفي على النص الذي يرد فيه رونقا وطلاوة، وهو ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) حين أولاه عنايته، متحدثا عن فنيته كلون من ألوان البديع قائلا: «ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه، وأحقه بالحسن وأولاه ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه، أو ما هو لحسن ملائمة وإن كان مطلوبا بهذه المنزلة، وفي هذه الصورة»[1].

ومن أمثلة جناس التصحيف الذي ورد في خطب الإمام علي كرم الله وجهه «ويقصد به النقط فرق بين الكليتين»[2].

وشواهد هذا النوع قوله رضي الله عنه في خطبة له: «عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين، والنور المبين، والشفاء النافع، والري الناقع ...»[3].

وفي هذه الخطبة تشابه في لفظتي (المتين، المبين)، ولفظتي (النافع، الناقع)، وهو تشابه في شكل الحروف، لكنهم اختلفوا في وضع النقط وفي اللفظتين الأوليتين، كان الاختلاف في (التاء والباء)، وفي الثانيتين في الحرفين (القاف والفاء)، ونلحظ كذلك دلالة اللون في قوله (النور المبين) فإن النون بضوءه

[1]- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001م، ص 07.

[2]- ابن معطي يحي: البديع في علم البديع، تحقيق ودراسة: مصطفى أبو شارب، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م، ص 34.

[3]- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة من خطب الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط1، 2007م، ج6، ص 164.

مع هذه اللفظة (المبين) قد أحدث وزنا موسيقيا يتولد مع هاتين اللفظتين (المتين، المبين) اللتان انسجمتا مع الطبع والذوق، فحدث جرس لطيف جعل النغم جميلا، فتلاحق تأثيره في النفس والمعنى.

ولن يخفى على ذي لب أن الذي يتمعن في خطب الإمام علي كرم الله وجهه يجد أنه: «استعمل الجناس لإيصال المعنى إلى ذهن المتلقي بسهولة ويسر، وليؤثر فيهم وليجعل دلالته أظهر وأقوى مستعملا هذا النغم الموحي المنتظم، الذي يتولد من توالي الألفاظ المتجانسة فيما بينها»[1].

ومنه يتوضح لنا أن الجناس ظاهرة أسلوبية من فنون البديع تدل على دلالة قوية على التمكن من اللغة وبالتبصر بدقائق معانيها استعمله الإمام علي كرم الله وجهه في كثير من خطبه للتدليل على المعاني وليصنع التأثير في من يسمعه، كما أنه تغنى بألحانه الجناس طبعا لا تكلفا، مطابقا لمقتضى الحال، وهو ما جعله لطيفا ورقيقا دلاليا ومعنويا.

استعمل «شعراء الفتوحات الإسلامية الجناس لغرض التأثير في سامعيهم، ورأوا بأن التجنيس بأنواعه ضرب من ضروب التكرار المؤكد للنغم»[2]، بمعنى أن المجانسة تحقق نوعا من الجرس الجميل، فهو يستعمل لكي يتلذذ السامع بما يدركه من المعاني، أي هؤلاء الشعراء استخدموه «في شعرهم ليس حيلة وزخرفة بل مركزا موسيقيا في البيت يقابله مركزا موسيقيا آخر، يضفيان على البيت تنظيما داخليا خاصا، فوعى شعراء الفتوح هذه الأهمية الخاصة بالجناس، إلا أنهم لم يكثروا منه إنما كان يأتي في أشعارهم بين الحين والآخر، لأجل تقوية جرسهم واسترعاء انتباه سامعهم بألفاظ جذابة متجانسة (...) وهي خالية من التكلف والتعقيد»[3].

ومنه نفهم أن شعراء الفتوحات الإسلامية اتخذوا من التجنيس جرسا لمعانيهم الحربية، وقصدهم في ذلك هو توضيح المشهد الحربي ورسمه في ذهن المتلقين.

---

[1]- ينظر: حسين عبد العال الهيبي: ظاهرة الجناس في خطب الإمام علي بن أبي طالب ورسائله (دراسة بلاغية)، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، الموقع: www.balaghah.net، التاريخ: 2017/02/26م.

[2]- حسين علي الدخيلي: البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر الإسلام، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011م، ص 161.

[3]- المرجع نفسه، ص 161.

وقد ورد في أشعارهم «بنوعيه التام والناقص، فالتام ما اتفقت ألفاظه في عدد الحروف وترتيبها ونوعها وهيئتها، أما الناقص فهو الذي يختلف فيه اللفظان في أمر واحد من الأمور السابقة الذكر، ولكن نجد شيوع التام قليلا في شعرهم مقارنة بالآخر ويعود ذلك إلى الصعوبة المتعلقة بفهمه»[1].

ومن نماذج الجناس التام قول خالد بن الوليد:

لله الحمد مولاي على كل نعمة وشكرا لما أوليت من سابغ النعم

مننت علينا بعد كفر وظلمة وأنقذتنا من حندس الظلم والظلم[2].

فنلحظ أن الشاعر خالد بن الوليد قد جمع بين (الظلم) الأول والتي معناها (العتمة) وهي ضد (النور) وبين (الظلم) الثانية والتي معناها (التعدي لحدود الله)، فقد استعمل الظلام بمعنى اللون الأسود وفي نفس الوقت دلنا على معناه وهذا الاستعمال زاد المعنى وضوحا.

حقق الشاعر بهذا الجناس تلك الرنة التي أثر بها في المتلقين الذين عايشوه في تلك الفترة، «حيث أنهم تأثروا تأثرا كبيرا بالإسلام لأنه لم يكن متكلفا بل جاء طبيعيا في شعره، فقد جمع بين وظيفتين هما: شحذ همم الفاتحين للجهاد في سبيل الله وفوزهم المحقق أولا، كما أنه جاء به ليدل على مهارته الشعرية في مجاراة القدماء الذين كتبوا مستعملين هذا اللون البديعي»[3].

ومنه يتضح أن شعراء الفتوح لم يقصدوا الألوان البديعية قصدا، وإنما جاءت في أشعارهم عفويا، ولعل همهم الأول تمثل في إيقاظ أذهان السامعين وجذب انتباههم.

وكخلاصة لهذا المبحث يمكن تسجيل النتائج التالية:

- استعمل الأدباء بما فيهم الشعراء اللون في قصائدهم وقد كان خاضعا للسياق الشعري، فتتغير دلالة هذا اللون وذلك حسب العرض الشعري الذي يرد فيه؛ فالأبيض يدل على الكرم والعطاء والأحمر يدل على الخجل، والأسود يدل على الألم والحزن والمعركة، واليأس والمعاناة التي كانت تعاني منها البلاد العربية.

---

[1]- حسين علي الدخيلي: البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية، ص 162.

[2]- الواقدي: فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بغداد، ط1، 1417هـ/1997م، ج1، ص 29.

[3]- المرجع السابق، ص 163.

- إن تضاد الألوان في الأعمال الأدبية خاصة الشعرية منها حقق فيها قيمة جمالية، فقد كان اللون مباشرا تارة، وغير مباشر تارة أخرى.
- استفاد شعراء الفتوحات الإسلامية مثل ابن سهل الأندلسي من الموروث الغربي القديم، فنجدهما قد شاكلا القدماء ونظموا على منوالهم في الصور الفنية.
- إن السر في جمال الجناس هو أنه يشيع في الكلام نغمة موسيقية نابعة من تشابه الألفاظ، كما أنه يوذي حركة ذهنية إذا اختلط بالألوان التي تفسر نفسية الأديب وما يريد أن يوصله بكلامه إلى المتلقي، كما أنه يثير انتباهه ويجعل اللغة الأدبية أكثر دلالة وقوة ووضوحا.
- يزداد الجناس بتوظيف اللون فيه جمالا من خلال البعد النفسي والفكري الذي يحمله، خاصة إذا كان نابعا من طبيعة المعاني التي يعبر عنها الأديب ما لم يكن متكلفا.
- قل وجود اللون في الأعمال الأدبية النثرية وما وُجد فيها فهو ضئيل، وقد جرى توظيفه أكثر في الشعر.
- للألوان القدرة على إحداث تأثيرات نفسية على الإنسان فينتج أعمالا أدبية منطلقا مما يحسه ببعد فكري ونفسي واجتماعي، كما أن كل لون يرتبط بمفهوم نفسي معين يوضح لنا الحالة العاطفية أو الفكرية للكاتب أو الأديب.

الفصل الثاني: توظيف اللون ودلالاته عند السعيد بوطاجين في المجموعة القصصية"ما حدث لي غدا"

تمهيد:

القصة لون من ألوان السرد الحديث، والتي كتب في غمارها عديد الكتاب والأدباء قصدهم في ذلك هو التعبير عن واقعهم الذي يعيشونه سواء كان ماديا أو اجتماعيا أو سياسيا، وهو ما عبر عنه القاص الجزائري سعيد بوطاجين في قصته التي نحن بصدد دراستها.

1) المرجعية الثقافية للسعيد بوطاجين:

أ- مولده ودراسته:

قاص وروائي وأستاذ جامعي ولد يوم 06 جانفي سنة 1958م بتكسانة (جيجل) بالشرق الجزائري، إلا أنه نشأ بالجزائر العاصمة، زاول دراسته بها، فنال شهادة الليسانس في الآداب قسم اللغة العربية "جامعة الجزائر" وهذا سنة 1981م، ثم انتقل إلى باريس أين تحصل على دبلوم الدراسات المعمقة بجامعة السوربون عام 1982م، ثم دبلوم تعليمية اللغات، جامعة غرونوبل بفرنسا سنة 1994م.

رجع بوطاجين إلى الجزائر وحصل على ماجستير النقد الأدبي في السيمياء من جامعة الجزائر عام 1997م، كما نال شهادة دكتوراه دولة في النقد الجديد (المصطلح النقدي والترجمة) بجامعة الجزائر سنة 2007م[1].

ب- المناصب التي شغلها:

شغل السعيد بوطاجين مناصب عدة بجامعات عديدة سواء داخل الوطن أو خارجه، من أهمها:

- أستاذ بجامعة تيزي وزو قسم الآداب –الجزائر-.
- أستاذ مشارك بجامعة الجزائر قسم الليسانس والماجستير.

[1]- هذا ما أفادنا به القاص في مقابلة خاصة يوم: 2017/03/20م، على الساعة: 09:30 صباحا, موقع : boutadjin_said@yahoo.fr.

كما شغل منصب أستاذ بجامعة تيزي وزو الجزائر بقسم اللغات الأجنبية (فرنسية/قسم الليسانس، وأستاذ بمعهد اللغات الأجنبية /فرنسية قسم الماجستير بجامعة تيزي وزو الجزائر)، بالإضافة إلى ما سبق فقد عمل أستاذا مشاركا بجامعة ميلانو وجامعة بافيا بإيطاليا بقسم الليسانس وقسم الدراسات العليا[1].

قام السعيد بوطاجين برئاسة تحرير العديد من المجلات أهمها:

1- رئيس سلسلة "سحر الحاكي"، القصبة، الجزائر، 1995-2009م.
2- مجلة القصة، من 1998 إلى 2000م، برئاسة الطاهر وطار، الجزائر
3- مجلة الثقافية عن وزارة الثقافة، من 2000 إلى 2002م، الجزائر.
4- مجلة الخطاب، حيث كان واحد من الذين أسسوا لها كعضو بجامعة تيزي وزو، الجزائر من 2005 إلى 20007م.
5- مدير تحرير مجلة التبيين برئاسة الطاهر وطار، 2006 إلى 2007م،/ الجزائر[2].

جـ- المؤلفات النقدية:

للسعيد بوطاجين العديد من المؤلفات النقدية والقصص والترجمات نذكر منها:

1- الاشتغال العاملي: "دراسة سيميائية لرواية غدا يوم جديد" لعبد الحميد بن هدوقة، عن منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000م.
2- السرد ووهم المرجع: "مقاربات في النص السردي الجزائري الحديث"، عن منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006م.
3- الترجمة والمصطلح: "دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد"، عن منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، لبنان، 2008م.
4- ما حدث لي غدا: ترجمت إلى الفرنسية وتترجم حاليا إلى الإيطالية.
5- وفاة الرجل الميت (قصص): ترجمت إلى الفرنسية.
6- اللعنة عليكم جميعا (قصص): ترجمت إلى الفرنسية.

[1]- هذا ما أفادنا به القاص في مقابلة خاصة يوم: 2017/03/20م، على الساعة: 09:30 صباحا. الموقع نفسه
[2]- في المقابلة نفسها.

7- أعوذ بالله (رواية): طبعت عن دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، هي الآن قيد الترجمة إلى الفرنسية.

8- أحذيتي وجواربي وأنتم (قصص): طبعت عن دار الريحانة للنشر الجزائري.

9- تاكسانة بداية الزعتر آخر الجنة[1].

وله ترجمات مختلفة، حيث قام هذا القاص بترجمة العديد من الروايات لروائيين مختلفين أهمهم:

1- مالك حداد: ترجم له رواية "الانطباع الأخير La dernière impression"، عن منشورات الاختلاف الجزائري، والدار العربية للعلوم (ناشرون)، بيروت، لبنان.

2- كاتب ياسين: حيث ترجم روايته "نجمة Nedjma"، عن منشورات الاختلاف، الجزائر.

3- نجيب نزار: ترجم له مع آخرون، ديوان "كائنات الورق D'objets en papier"، ترجم الديوان إلى الفرنسية عن اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، 2006م[2].

هذا وقد اكتفينا بهذه الثلاث ترجمات دون غيرها لكثرتها.

[1]- هذا ما أفادنا به القاص في مقابلة خاصة يوم: 2017/03/20م، على الساعة: 09:30 صباحا ,.boutadjin_said@yahoo.fr

[2]- هذا ما أفادنا به القاص في مقابلة خاصة يوم: 2017/03/20م، على الساعة: 09:30 صباحا,الموقع نفسه.

المبحث الأول: الأبعاد الفكرية والنفسية لتوظيف اللون في المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"

استخدم السعيد بوطاجين الألوان في مجموعته القصصية حسب انفعالاته والعوامل المثيرة لحالته النفسية ذلك «أن اللون من العوامل المثيرة للانفعالات المثيرة التابعة داخل كل إنسان تحركها إلى صور وإسقاطات ورموز وتختلف من شخص لآخر حسب ما يشعر به وما افتعلته تلك الألوان»[1].

وبما أن اللون ينقل الأحاسيس المختلفة والمتواجدة داخل النفس الإنسانية، فإن اللون لا يأتي لوظيفة زخرفية، «بل له اتصال وثيق بالنفس البشرية وتطلعاتها، فهو يعبر عنها ويثري التجربة والمعنى بما يثيره من إحساسات ممتعة وإيحاءات تمزج بين الحياة وميدان الفن، فلابد للفنان (الأديب) أن تكون له قدرة عظيمة على التشكيل لأن حقائق الواقع الموضوعية وبحقائق الأديب النفسية والروحية لا تنعكس في العمل الفني إلا مشكلة»[2].

بمعنى أن الألوان لما تنمزج في الأعمال الأدبية التي يكتبها الأدباء فإنها تعكس نفسيتهم وتجربتهم وتمنياتهم وآلامهم، فنراهم يستخدمونها لا على سبيل التزويق والتنميق بل لإيحاتهم التي تدل على أن الأديب انطلق من واقعه ولم ينسج عنه مصورا تجربته فنيا، لاعبا دورا مؤثرا، حيث يعهد إلى التجسيد أو التشخيص أو الإيحاء، وبهذه الطريقة يرسم واقعه بلغته مستخدما التغيير التي ذكرنا فيعيد تشكيل الواقع تشكيلا جديدا، وهو ما قام به القاص، الناقد السعيد بوطاجين عندما انطلق من واقعه مستخدما جملة من الألوان والتعابير الفنية، التي جعلت من عمله القصصي يبدو في حلة رائعة وجديدة، وبمجهوداته التي قام بها ليقيم صرح العمل الأدبي الجزائري عموما والقصصي خصوصا، ومن أبرز ما قيل عن النص البوطاجيني من طرف البحثة والناقدين والمبدعين، ذكره بشير مفتي حيث قال: «يختزن أسلوب السعيد

---

[1]- نارمين عبد الحميد حسن: توظيف اللون في شعر ابن الرومي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، تحت إشراف: د. أحمد يوسف، كلية الآداب، قسم اللغة العربية ,جامعة الزقازيق ,مصر القاهرة د.ت، ص 18.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص 20.

بوطاجين نفسية شعرية قوية، وأسلوبا مجازيا رائعا، يضع الكتابة القصصية في مواجهة مع الجنس الأدبي نفسه، يتجاوزها لما هو متعارف عليه في القصة القصيرة»[1].

ويقول الحبيب السائح: «إن سلطة نص بوطاجين من طبيعة أخرى في المتن القصصي الجزائري المعاصر، وهي ذات سطوة فنية، لأنها تقول سخريتها باللذاعة اللبقة، وسوداويتها بالسطاعة الشفافة، وتكذب نفسها بلغة مفكوكة من قيد المعتاد»[2].

فنلاحظ أن بشير مفتي في مقالته قد ركز على أسلوب السعيد بوطاجين الذي تميز عن غير في الكتابة القصصية، وأما الآخر الحبيب السائح فإنه يركز على طبيعة نصه الساخر واللاذع واللبق والسوداوي.

ولمعرفة الأبعاد الفكرية والنفسية لتوظيف الألوان في مجموعة بوطاجين القصصية التي حوت بداخلها مجموعة من القصص سنبدأ أولا بقصة "**خطيئة عبد الله اليتيم**"؛ والألوان التي عبر بها فيها عن نفسيته وأفكاره ودلالة كل لون استخدمه فيها.

1) اللون الأزرق:

استخدمه السعيد بوطاجين في قوله: «خلايا عطاش إلى الظلام الساطع والجدران الزرقاء المكفهرة»[3]، فإن هذه الزرقة صاحبها ظلام في نفسية الشاعر فإنه قد «دل على الخمول والتراخي والكسل»[4]، فإن عبد الله اليتيم يتحدث عن حاله المتألمة من ظلم القاضي وظلم الحياة له قد حطمته الانكسارات المتعاقبة هو ما ذكره على لسان حاله: «يتكوم في شبكة الباطن، ومن التجربة المرة يدرك محالية وجوده الأغبر ...»[5]. فقد رأى القاضي عبارة عن قطعة لحم تتحرك على أنه مجرد حثالة لا يحتوي على مثقال ذرة من الإحساس، وغير عادل يحكم بين الناس بنوع العبث والاستهتار, ممارسا السلطة ومتخذا قرارا غير صائب وهو يعرف الحقيقة، كما أنه صور هذا الظالم –القاضي– في قاعة ذات جدران

---

[1]– إيمان طبشي: النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، أطروحة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، كلية الأدب واللغات، سنة 2010م، ص 34.

[2]– المرجع نفسه، ص 34.

[3]– السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، منشورات التبيين، الجاحظية، سلسلة الإبداع الأدبي، د.ط، 1998م، ص 4.

[4]– أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 183.

[5]– المرجع السابق، ص 4.

زرقاء مكفهرة وهو جثة يملأها الحقد والظلم والطغيان والدنائة , متعطشة لممارسته دون وجه حق على الضعفاء و المسكين، دل هذا الكلام على نفسية القاص الذي امتعض مما يحدث في مجتمع يحكمه الخنوع والخضوع , وهو وضع في الحقيقة يدل على اختلال الموازين والقيم وتشويه حقائق الأشياء وتحريف لمسمياتها.

وأما دلالة اللون الأزرق في قصة "السيد صفر فاصلة خمسة" فإنه قد ورد ذكره فيها حين قال الكاتب: «وكلما دخلت بقعة عربية إلا وصليبي معي، وإذا خرجت حيا بدم أزرق نسيت شكل وجهي القديم، لقد استنفذت مستودع التفاؤل ...»[1]؛ وهنا نجد أن الأديب استعمل اللون الأزرق للتعبير عن إحساسه بما يحس به المثقف الجزائري من ضجر وملل وتهميش وانعدام التقدير وأنه إذا زار بلادا أخرى فإنه سيشعر بالفرق بين بلده والبلد الآخر، وما يعرفه هو عن بلده الأم التي يسودها الظلم والمنكر في حق المتعلمين، فيتألم لذكره الدم الأزرق بمعنى انقضاء الأمل ونهاية التفاؤل.

وقد ورد ذكر اللون الأزرق في قصة "وحي من جهة اليأس" حين قال: «تريد أن أقول لك لا بأس، وأنا مشرئب كقلب الغريب، عبثا أحاول أن أتفاءل بمستقبل أزرق على الأقل»[2]، فقد استعمل الكاتب هذا للتعبير عن نفسيته الغاضبة المتذمرة من الواقع المعيش، نجده غائصا في التأمل والتفكير يتمنى لحاله ولغيره من الجزائريين الحصول على ما هو أحسن، وما يدل على ذلك أيضا قوله: «يجب أن أصارحك، أنا مثلك كثيرا تمنيت أن يكون لي بيت وغدير وعصفور ... علمني الجيب التسكع علمني التأمل أدركت الحكمة»[3].

وقد ورد ذكر هذا اللون في قصة "سيجارة أحمد الكافر" كذلك في قوله: «كنت أزرق تمام مثل صبي دفن قبل يومين، اعتقدت أني لابد مسافر وقد تيبست ضلوعي»[4]. وبهذا اللون يظهر أثر الظلم الذي ساد في تلك الفترة من طرف الآباء على أبنائهم، وكذا انتشار الفقر بين الناس، وشيوع الجريمة والمنكرات والسرقة، وبمعنى آخر إن اللون الأزرق هذا بالنسبة للأديب «عكس البراءة»[5]؛ ذلك أن الصبي

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 21.

[2]- المرجع نفسه، ص 43.

[3]- المرجع نفسه، ص 43.

[4]- المرجع نفسه، ص 85.

[5]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 183.

الذي ولد لتوه، كل شيء أحس به يؤلمه من قهر الواقع وظلم والأولياء له في قوله: «استيقظت من وفاتي كان كل شيء يؤلمني حتى الشعر والحذاء والأظافر والمخدة والماء والهواء»[1]، أي كل ما هو سبيل للراحة نشر في جسمه الألم والكراهية والبغض والمنكر حتى الوسادة والماء والهواء ,ويقصد هنا أباه الذي نكد عليه العيش وجعله يعاني الظلم والقهر، فإن هؤلاء الأطفال من شدة المعاناة تكشفوا وأدركوا المعنى الحقيقي للولي في قوله: «أدركنا أنهم ليسوا أقل بؤسا وتفاهة وجهلا»[2]، أي أنهم صوروا لأبنائهم مثالية الواقع والحقيقة عكس ذلك , فتمردوا عليهم.

2) اللون الأصفر:

وظف السعيد بوطاجين في مجموعته القصصية كذلك اللون الأصفر في قوله: «شتلة من الأوراق الفاقعة الاصفرار، السيئة الصيت تدب في محيطه الخاص جدا، مجرد شتلة فاسدة بلا أرض»[3]. بمعنى أن عبد الله اليتيم كان شابا حالما بعمر الورود، كما انه كان كتلة مملوءة بالحيوية والنشاط؛ وقمة في التوهج والإشراق، بهذه الرؤية في الوجود وما ملكه من صفات اصطدم بقوة مهيمنة، قوة مفسدة ومستبدة متمثلة في شخصية القاضي.

وقد استعمله كذلك في قصته "اعترافات راوية غير مهذب" في قوله: «أصبحت النهارات صفراء مثل رائحة المستشفيات، وطلي كل شيء، الملاعق، ... صلوا على النبي، حتى المطر أصبح ينزل بطين أصفر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، تقول القيامة قامت»[4].

ومن خلال ما سبق يتوضح أن اللون الأصفر لم يكن لون الإشراق والحيوية، بل هو لون يدل على الذبول والمرض , حيث ذكر الأديب أن النهار بعدما كانت مشرقا بضوء الشمس أصبح نهارات صفراء أخذت رائحة المستشفيات دلالة عن المرض الفكري الذي أصاب عقول الجزائريين آنذاك لشدة فقرهم وطغت على عقولهم أفكار سوداوية فنبذوا الحب وصار بينهم البغض والمشاكل والكراهية.

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 85.

[2]- المرجع نفسه، ص 86.

[3]- المرجع نفسه، ص 05.

[4]- المرجع نفسه، ص 64.

ونجده؛ أي السعيد بوطاجين قد وظف اللون أصفر في قصته "سيجارة أحمد الكافر" في قوله: «انتهت مرحلة الغفوة، المقبرة واسعة تكفي الجميع، ممتدة حتى مرمى الشعور حيث ينتهي توهج الزمن النفسي وتخمد قواه، وثمة جو أصفر يشده إلى القضبان العبث اللانهائي إلى الوجود والعدم (...) يتركه مبللا برذاذ الماضي وبكاء الحاضر»[1]. وفي هذا الكلام يظهر أحمد الكافر قد عانى «من اضطراب وانفعال داخلي»[2]، ذلك أن القاص صور قلقه من الحاضر الذي يعيشه في ظل أزمة جعلته لا يكون قادرا على أن يكون واقعيا، عانى أحمد الكافر من ظلم المجتمع وسلطة الولي الذي لا يرحم، فإنه كان يعذبه عذابا شديدا بلا رحمة ولا شفقة،، حيث يقول: «في كل مرة كان يقتنصني، ويوثقني مع الكلب ويمضي، ومع الزمن تآخيت مع العقاب، ألفت التمرغ في التراب، وتعلمت كثيرا: الجوع، الصبر، التحدي، وتعلمت النباح كذلك، وأصبحت أنبح أفضل من كلبنا»[3]. بمعنى أنه عانى ويلات الفقر وجهل الولي الذي لا يرحم، حيث أنه هذا الولي كان يقوم بمنكرات لا يقبلها هذا الابن، كالشرب والتدخين بأنواعه وغيرها، فعصى والده لأنه ولي كاذب ومزيف عكس الحقيقة التي رآه عليها لقوله: «مع الأيام سمعت العجائب، عرفت كيف تخترق الكذبة مسام الحقيقة لتدون، ذلك الأمر جعلني اكتشف حقارة العباد وبلادتهم، لم أمرح بالمغامرة، وفي داخلي تمت رغبة طافحة في السخرية والتحدي، وفي تعرية هذه الرواسب، وأدمنت العقوق»[4]. بمعنى أنه عصى والده، «وبسنواتي الاثني عشر الضالة، ورحت أشعل أعواد الثقاب واللفائف الطويلة المصنوعة من أوراق الكراريس، كنت وحدي قبيلة من الكلاب»[5].

بمعنى أن هذا الفتى ثار بألم ووجع على واقعه الذي غمره تحكم الأولياء المزيفين أمام أبناء، حيث يرسم لابنه صورة عن والده وحقيقة الأمر غير ذلك، في قول القاص: «بأكبر صنعنا الشوارب واللحى ومثلنا أعماق الأولياء وكبريائهم، بعفوية انسياب الدمع اكتشفنا التناقض المؤلم، نكتة تتبعها الأخرى، خبر وخبر فحكاية ثم التعرية الكبرى، انقشع الغطاء الذي كان تقدمه تلك الأجسام القديمة التي تسمى

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 86.

[2]- نجاح عبد الرحمن مرازقة: اللون ودلالاته في القرآن الكريم، إشراف: حسن محمد الربابعة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2010م، ص 29.

[3]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 82.

[4]- المرجع نفسه، ص 84.

[5]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 84.

الأولياء»[1]. فإن أحمد الكافر عانى من أزمة ظلم الأولياء ثم أحس بالراحة وهدأت نفسيته وتحول قلقه النفسي إلى هدوء وراحة في القصة.

3) اللون الأسود:

وظف القاص بوطاجين في مجموعته القصصية هاته اللون الأسود في قصة"السيد صفر فاصلة خمسة" في قوله: «نسجت سارية علقت عليها علما أسود كتب عليه باللون الأسود: التفكير في المستقبل ضلالة؛ وكتب أيضا: الثرثرة ركن من أركان الإيمان»[2]، ففي كلامه هذا دلالة على الحزن والألم وموت لهذه «الأمة التي باتت كومة من التبن وشعارها النوم فضيلة»[3]. فخاف على مصيرها ومصير أبنائها، ذلك أن التفكير والتقدم إلى الأمام صار مجرد ثرثرة وكلاما فارغا؛ أي أن العلم صار محضورا وغير موجود، ومن ثم نلاحظ أن القاص ثائر على الواقع ويريد تغييره رغم الظروف الصعبة والجوع والفقر، حين قال في قصته "اعلموا إننا خير خلف لخير سلف": «الشعب شجاع كان رمزا، إن الشهداء عند ربهم يرزقون، قاوموا العطش والمشاكل وأدوا أسلوبيتهم على خير وجه»[4].

وقد ذكر اللون الأسود أيضا في قصته "أعياد الخسارة" حيث يقول: «خطوات أخرى والتفت وراءه، لم يصدق أبدا، كان الجدي مشدودا بالحبل، جدي أسود ذو قرنين حادين»[5]. فقد استعمل القاص هذا اللون «للدلالة على المجهول والميل إلى التكتم »[6]. وهو ما أراد القاص أن يفعله مع زوجته وأولاده، ذلك أنه من شدة الفقر وغلاء أسعار الخرفان المباعة في السوق أراد أن يكذب عليهم ,حين قال: «من الحبة أصنع قبة وأغالطهم، لكن السر لازم يبقى عندي»[7]، فإن الواقع وقلة الحيلة لا يرحمان في ظل ظروف صعبة وأزمة مالية، وقد كبر سن يعقوب الذي لم يعد قادر على كسب قوته بنفسه.

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا ، ص 85.

[2]- المرجع نفسه ، ص 16.

[3]- المرجع نفسه، ص 16.

[4]- المرجع نفسه ، ص 22.

[5]- المرجع نفسه، ص 25.

[6]- أحمد المختار عمر: اللغة واللون، ص 186.

[7]- المرجع السابق ، ص 25.

ويذكر السواد كذلك في قصته "ما حدث لي غدا" حين قال: «أمامي وخلفي وفي مرمى البصر يحمحم السواد وأظل آفة جميلة تهوى الغوص في رحم الأسرار»[1].

ففي كلامه عن السواد «حزن وألم وموت»[2] للمدينة التي تنبذ العلم والمتعلمين؛ ولكن هو كقاص ومتعلم سيحاول أن يخترق ويغوص في الأسرار ويغير ما أمكنه تغييره، وسيبدد الظلام والمفاسد إلى ما هو أحسن.

وفي مضمون قصة "اعترافات راوية غير مهذب" نجد القاص قد استعمل اللون الأسود في قوله: «أحس بانهمار الأفكار داخل رأسه مثل الجنازات بلا أهل، جنازات ملفوفة في قماش أسود صدي»[3]، فإن القاص وظف السواد للكفن بدل القماش الأبيض ليعبر عن الفكرة التي كانت تختلج في نفسه على لسان السيد البوهيمي الذي عانى من الاهانة و قلة الاهتمام,في واقع مر لا يعتني بالقرأة ولا بالمبدع المفكر,فانه بأفكاره الكثيرة حين لا يجد آذانا تسمعه فانه سيقرر لوحده الهروب من الواقع ؛أي لا يجد جدوى من الحياة, وهو ما قصده القاص من وراء حديثه جنازات ملفوفة في قماش أسود صدى على أن السواد هو «لون السلب ويدل على العدمية والفناء»[4]،بمعنى الموت و الانتحار .

اللون الأحمر:

وظف القاص في أسلوبه القصصي اللون الأحمر، وجاء ذلك في قصته "أعياد الخسارة"، في قوله: «الجدي أسود ذو قرنين حادين وعينين حمراوين، تفرس فيه جيدا، ومن مؤخرة الجمجمة تصاعد الدخان، كان يشتعل»[5]. القاص حاول هنا أن يرسم لنا الجدي بقرونه وعيونه الحمراء «دلالة على قوته وشجاعته»[6]. اشتراه لقنع به نفسه وأولاده وزوجته أنه بخير واشترى أضحية للعيد كافية ومشبعة، كما نجد اللون الأحمر في قصة "اعترافات راوية غير مهذب" في قول القاص، صوت البوهيمي في ليل عتيق: «هذا أنا إني أمضغ ضجر المدن الصفراء في انتظار فتحة مجهرية في جدار الوقت، ومن هناك أتسلل خببا

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا ، ص 52.

[2]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 186.

[3]- المرجع السابق ، ص68.

[4]- المرجع السابق ، ص 186.

[5]- المرجع السابق ، ص 25.

[6]- أحمد مختار عمر: اللغة واللون، ص 184.

وأمضي إلى الجحيم، ثم لأمي الحبيبة أرسم باقة ورد في عيد ميلادها، لإخراتي المعلومات أؤلف أفقا أحمرا»[1].ل

فإن دلالة اللون الأحمر تظهر في كون صوت البوهيمي غير مسموع ولكنه يطمح إلى أفق أعلى وأحسن يريد أن يغير ضجر ومرارة الواقع، إلى حال أحسن وأروع ذلك أنه يعاني الإهانة وقلة الاهتمام.

5) اللون الرمادي:

اللون الرمادي:

استعمل القاص ،السعيد بوطاجين اللون الرمادي في قصصه ،وقد وجد بالتحديد في قصة "أعياد الخسارة" عندما قال "الأدعية توانس المساء ،والشجر يرنوا إلى النجم المتحجب بملاءات رمادية "[2]فإن القاص استعمله كرمز" يعبر دائماً عن أنصاف الحلول ،جامعاً بين المتناقصات في الحياة بين الأبيض والأسود كرمز بين الخير والشر ، والقوة والضعف وهذا اللحن نجد في هذا الإستعمال للون الرمادي الذي يدخل بينهما ليظهر تلك الدلالة"[3] في قول القاص خاصة أن العيد فرحة جاء بالدعاء والأفراح للشعب الجزائري ،ولكن في فقرهم مذلة لهم في قوله :"كان العيد سيداً متعجرفاً ،يتظاهر بالتقوى ،يدخل الديار قسراً ويهتك أعراض الفقراء طالباً الفدية ، يعري البئر المغطاة والى الفقر تنضاف المذلة مع انكسار العمر، تعلم يعقوب كيف يمقت المناسبات وكره الأعراس والأعياد"[4].

فإن هذا العجوز رأى في العيد الديني مذلة للناس الفقراء ،لأن بدخل بيوتهم بالقوة ،فيعري أعراضهم ويكشف المستور، ذلك لأن ثمن الأضحية باهض وهم بفقرهم لا يملكون ثمنها.

---

[1]– السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 64.

[2]–أحمد مختار عمر: اللغة واللون ،ص 25.

[3] _ شوقي بدر يوسف : جبل الثلج العائم ، دراسات في القصة القصيرة، نادي القصة القاهرة ،ط1 ،2007م ،127.

[4] _ السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص27

6) اللون الأبيض:

نجد استعمال القاص السعيد بوطاجين للون الأبيض قليل، وقد ذكره في قصته "أعياد الخسارة" عندما قال: «ولا حرج إذا كذب قليلا أكاذيب بيضاء تخلصه من الأسئلة»[1]، فالقاص هنا استخدمه «بمعنى الصدق في الكلام أي يمثل نعم في مقابل لا»[2]. ذلك أن القاص على لسان الراوي أراد أن يستر فقره وقلة حيلته عن عائلته وذلك بالرد على أسئلة زوجته عن مصدر المال الذي اشترى به الأضحية، فقد أخبرها إنما كان ذلك من المال الذي ادخره، قال:: «أقسم أني اشتريته بأموالي المدخرة منذ الاستقلال، أو يقول لها: وجدته الملعون، هذه المرة أمسكته بقوة وقلت له: أنا بحاجة إلى الدراهم التي أعطيتكها فأعدها لي»[3].

وقد ذكر اللون الأبيض في قصته "جمعة شاعر مجلي" في قوله: «على طول الرصيفين عمارات بيضاء ساحقة تسيل اللعاب»[4]. فإن اللون الأبيض هنا «دلالة على الطهارة والنقاء»[5]؛ بمعنى أن لون جدرانها ظاهرا أبيض ونقي وطاهر، أي أن الشاعر هنا لما رأى المدينة للوهلة الأولى لمح طول عماراتها ذات اللون الطاهر، ولكن ذكر كذلك حقيقة أخرى في قوله: «وداخل تلك البيوت السرية مدن عامرة بالطقوس الغامضة البعيدة عن الإدراك، مدن خاصة تستضيف الشمس والقمر وقوس قزح لا تعرف اليأس، تستيقظ راقصة وتنام تحت ضوء ألف قنديل، ومع ذلك تبدوا خربة غافية بعد ما اجتاحها وباء مجهول الهوية»[6]. فإن هذا اللون في نفسية القاص دل على القلق والتوتر فاضحا هذه المدينة على «أنها مدينة مسوسة مفتوحة مثل القبر لمن هب ودب، فإنه يقصد بكلامه أنها بيوت قاطنوها يقبعون تحت ظلمات كثيرة: تحت الفقر والظلم والعري والبؤس»[7]. بمعنى آخر أنه لون يكشف عن حقيقة نفسية تظهر خاصة في أنها تدير ظهرها للشمس وتلوح بيديها للقمر وقوس قزح، فالغموض والإبهام يتسلل إلإليها في

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 24.

[2]- أحمد المختار عمر: اللغة واللون، ص 185.

[3]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 24.

[4]- المرجع نفسه، ص 34.

[5]- أحمد المختار عمر: اللغة واللون، ص 185.

[6]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 34.

[7]- طاهير حورية: التوتر في تجربة السعيد بوطاجين القصصية (دراسة جمالية)، جامعة سعيدة، الجزائر، مجلة قراءات، العدد 5، 2013م، ص 270.

ظل ظروف سرية مجهولة، فهي في نظره –خربة غافية من البؤس– بعكس القرية البغعيدة التي ينهض سكانها في الوقت مع عطر النبات الأخضر، وضوء الطبيعة الخلابة، حيث «الزمن هو السيد الأنيق الذي لا يغمض له جفن، قصيدة خالدة ونشيد، ومن الدقيقة الحرة يغزلون المتعة والفكرة والتجدد، ثم ينتشرون وقد طهروا الصدور من الأتعاب والتنهدات»[1]. فإن المدينة أهلها لا يعرفون الراحة والضوء في عينهم كل حين.

ومنه يتضح أن للقاص رؤية مميزة عبر بها بصدق عن المدينة ذات العمارات البيضاء المزدحمة بالسكان إلا أن حقيقة المدينة عكس ما نتصور على أنها مكان لا يحترم فيه وقت الليل أو النهار، أي لا تعرف صبحها من مسائها، تعمها الفوضى والغرابة والبؤس رغم الغنى فهي بقعة للحزن والكآبة والتذمر والفقر، حتى هوائها مضر للإنسان في قوله: «نقص الأنسجة والهواء غير الصالح للرئة (...) اليوم كبرنا وصرنا بحجم الألم والأصائل الخريفية الحزينة»[2].

ومنه نفهم أن المدينة ببياضها تعمها الفوضى والحزن والآلام إلى درجة أن القاص يتمنى الرجوع إلى القيم الجميلة والماضي العتيق حيث الأجداد والأولين في قوله: «على مقربة منا لمحنا مقهى نصف مفتوح ولاح أمل أن نتسكع طويلا ونتلذذ بفنجان قهوة مخضرمة ... هناك مشكلة انعدام ملاعب كرة الأدب، وألعاب القوى القصصية ... والملاكمة الروائية ... سباحة على الكتب، أضف نقص حراس مرمى الثقافة وخلو الساحة الأدبية من المدربين المختصين في تكوين مهاجمين مختصين»[3].

ومنه نفهم أن المدينة هذه ببياضها عمتها الكآبة والمذلة بسبب الحكام الذين منعوا أهلها من البحث والتنقيب، وفضح زيف هؤلاء الذين ساسوا البلاد وجعلوها تحت وطأة التسلط القاتم، أي يحكم السيد كما يشاء ببطش وقوة والعبد يبقى مرهون للضعف والجهل حتى الموت.

---

[1]– السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 34.

[2]– المرجع نفسه، ص 35–36.

[3]– المرجع نفسه، ص 35.

7) اللون الأصفر:

استعمل القاص السعيد بوطاجين اللون الأصفر في قصته "أعياد الخسارة" في قوله: «ومشى يختال تاركا عيون النحس تأكل بعضها، وكان الأبناء يتغامزون كالعفاريت مسلولة ملونة بالأحمر والأخضر»[1]. فما نلحظه من هذا القول هو أن القاص أراد أن يدافع عن نفسه وعزتها أمام هؤلاء الجيران الأغنياء الذين «يذبحون شياها هزيلة كالقطط لا، لا كقويدر المسيلي رحمه الله»[2]. فقد جاء المعنى هنا حسب الدلالة اللونية «إنه ارتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس»[3].

وقد ورد ذكر آخر للون الأخضر في قصة "ما حدث لي غدا" في قوله: «عرّيت الشجرة من الاخضرار، وفي مكان الأوراق علقت ضفادع جافة، لأقلد الرسامين الكبار الذين عذبوني»[4].

فالقاص هنا حاول التغيير من سلبية الواقعية إلا أنه وقع في الأسوأ من أوراق خضراء إلى ضفادع جافة، وهو ما حدده أحمد المختار في قوله: «فهو إلى السلبية أقرب منه إلى الإيجابية»[5] بمعنى أن المبدع حاول أن يقلد الرسامين الكبار في رسمه لصورة فيها شيء جديد ينم بالحياة، إلا أنه أخفق وسار باللون الأخضر إلى السلبية أكثر.

ومما لا شك فيه أن للون تأثير على النفس الإنسانية، فهو قوة موحية جذابة تؤثر في جهازنا العصبي، للنفس فرحة لا يستهان بها عند التطلع إليه، إذ يشملها طرب قد لا يختلف عن طرب الموسيقى والغناء.

اللون كيفما كان، فإنه شعر صامت نظمته بلاغة الطبيعة وبيانها، فهو كلامها ولغتها المعبرة عن نفسيتها. وكما عبر عن الفرح والنفس السعيدة، فإنه يعبر كذلك عن الألم وضنك العيش، والظلم والاستبداد الذي عانى منه الشعب الجزائري فترة الثمانينات والتسعينات بما فيهم القاص السعيد بوطاجين

---

[1]- السعيد بوطاجين: ما حدث لي غدا، ص 26.

[2]- المرجع نفسه، ص 26.

[3]- أحمد المختار عمر: اللغة واللون، ص 185.

[4]- المرجع نفسه، ص 26.

[5]- أحمد المختار عمر: اللغة واللون، ص 185.

الذي عبر باللون الحزين الغاضب والممتعض من المسؤولين الذين همشوا المواطن البسيط الفقير في مقابل إحراز المال وإقامة الشكليات التي لا معنى لها.

المبحث الثاني: الصور التخيلية للألوان في مجموعة "ما حدث لي غدا"

إن المتتبع للمجموعة القصصية "ما حدث لي غدا" لسعيد بوطاجين يلاحظ ذلك التلون الذي تشهده هذه المجموعة، بين ثنايا نسيجها القصصي، والذي يستفز القارئ لبحث خلفيات هذا للتوظيف، وبصور تخيلية مختلفة، كما ونالت ألوان الأسود والأبيض بألفاظهما وسماتهما حظا وافرا من التوظيف ثم تأتي الألوان الأخرى تباعا، كالأخضر والأحمر والأصفر، والأزرق والرمادي.

ولما كان اللون تعبيرا خالصا عن تجربة معاشة، ويحمل قدرا من العناصر الجمالية، فقد وظف القاص السعيد بوطاجين اللون الأسود بكثير من الحرفية والأبعاد، فجاء في صور مختلفة تفهم معانيها ودلالاتها من خلال السياق، وفيما يأتي أهم الصور التخيلية للون الأسود في مجموعة "ما حدث لي غدا".

1) اللون الأسود وصوره التخيلية:

مثل اللون الأسود مساحة معتبرة من قصص بوطاجين مصورا من خلاله حالته النفسية المتذبذبة التي يسيطر عليها التشاؤم والصراع الداخلي نتيجة الظلم والتعسف الممارس في الواقع؛ فجاء هذا التوظيف للون الأسود بدلالته السلبية؛ ليعبر عن رفضه لهذا الوضع بكل احترافية، سواء بذكره صراحة أو استعمال رديف له في الدلالة في صور تخيلية متنوعة ومتقنة.

من بين هذه التوظيفات هي لفظة الظلام، والتي تحيل إلى التشاؤم والصراع والتسلط والكآبة، والهموم، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قوله في قصة "أعياد الخسارة" في نطاق تصوير المواطن الفقير العاطل عن العمل: «قالها ومشى متلصصا بين شجر الزان، تارة يسعل وتارة يدندن، الظلمة الآسنة وجليد المواسم الشتوية التي تجمد الصوت، وهذا الخروف الذي نمزل بقدرة قادر؟ العيد يفرع الأبواب ويعقوب كما خلق، ذل مسترسل عل لفافته ...»[1]

يصور القاص في هذا المقام جانبا من المعاناة الاجتماعية، جراء الحيف الذي يمارسه الواقع الاجتماعي والقوانين ضد المغلوبين الذين لا يملكون سوى الاستسلام لهذا الواقع الذي صوره في جو من الكآبة والظلام، الذي يحيلنا إلى السواد، والذي يعبر هنا عن الضعف والذل وقلة الحيلة.

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 23.

كما نجد بوطاجين قد وصف الحالة المزرية التي تعيشها الفئة المثقفة في المجتمع من ضغوط ورقابة وتهميش، التي تقتل فيهم روح الإبداع بقوله في قصة "السيد صفر فاصل خمسة": «... واستمر التشريح تململت فاجأنا سائل أسود الجوهر. الجوهر هتفنا»[1].

واستعمل القاص هنا السواد للدلالة على مكانة المثقف المزرية في ظل حكم جائر أجاد في تصويرها بتوظيف اللون الأسود، والذي دعم المعنى في مشهد تهكمي ساخر.

ويسترسل بوطاجين في وصف القمع والاضطهاد الممارس ضد المثقف والذي صوره "بعلم أسود" و"كتابة سوداء" بقوله: «... من وجع الضمير نسجت سارية علقت عليها علما أسود، كتب عليه باللون الأسود التفكير في المستقبل ضلالة ...»[2].

فصفة السواد تعبر هنا عن يأس المثقف واستلامه لهذا الموضوع لما يعانيه من قهر، ويواصل القاص في التعبير عن وضعية المثقفين وحالتهم موظفا هذه المرة أحد صفات اللون الأسود الدالة على السواد، وهي الفحم، ومن ذلك يقول: «... ثم جاء أحد الملائكة فعثر على خربشة كتب عليها: يجب إعادة صياغته، غير أن الملاك كان متعبا ملولا، وعوض أن يعيد تصميمه أتي يفحم وصاغه على مضض، لابد أن الخالق استاء وعاقبه بوضع اليدين على الرأس مدة جيل»[3].

وهي صورة أراد بها الكاتب أن ينقل التعسف الذي يواجهه المثقف في طرح أفكاره وانتماءاته.

وفي السياق نفسه وظف بوطاجين اللون الأسود في صورة القطران المتميز بشدة الاسوداد مهولا بذلك من حجم مأساة المثقف في ظل سيادة الحكم الجائر؛ إذ يقول: «من ذروة الحضارة انحدرت إلى القاع حيث سيادة القطران، كانت كلماته مسامير تدق في المخ، ورأفة بي رحت أطالع مذكرات فيها كثير من العبقرية كان قلبي البصير يعتصر»[4].

كما اتخذ من القرد الأسود صورة للتعبير عن التشاؤم والاشمئزاز من هذه الحالة المزرية للمثقفين، وفي ذلك يقول: «لم أندهش لما أبصرت الشعر يغزو راحتيه، وإلى القاعة تسربت رائحة، غير أنه لم

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "السيد صفر فاصل خمسة"، ص 14.

[2]- المرجع نفسه، ص 16.

[3]- المرجع نفسه، ص 17.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "السيد صفر فاصل خمسة"، ص 19.

يتوقف، أرغى وأزبد وشيئا فشيئا أسود مظهره، واتسع منخراه وارتفع العياط حادا مؤلما، كان منفعلا، لما أصبح بأربع قوائم، واحمرت عيناه لقد أضحى كله قردا، غير أنه لم يجرؤ على ترك خطابه»[1].

فهذا التوظيف لدلالة اللون الأسود في هذا المقام، يحمل القارئ على تخيل الشخص وهو يتحول في لونه إلى الأسود ثم مسخه إلى قرد في مشهد كاريكاتوري ساخر يحمل الكثير من المآسي والآلام التي اختار بوطاجين صورة الفرد الأسود لتجسيدها.

وفي صورة أخرى للغضب الشديد يصور لنا القاص الحالة الاجتماعية للمواطن البسيط، الذي يعاني الفقر والبؤس والبطالة، إذ لا يجد ما يطعم به أطفاله، فصورهم القاص بالفحم، الذي يتميز بصفة السواد، إذ يقول: «علق العكاز على عنقه وربت على رأس الغنيمة الإلهية ناسجا عشرات القصص، الولادة الثانية الغنية بالهدايا، سيحكيها لزوجته والصغار المحلقين حول الكانون مثل قطع من الفحم»[2].

فصورة الفحم الدالة على السواد يعبر عن الحالة المأساوية للفقراء والتي شبه بها القاص أطفالهم الجياع بالفحم المحترق، الذي قضت نار المعاناة والبؤس على توهجه وسنائه.

وفي الصورة نفسها استعمل الكاتب لفظة الفحم للتعبير عن الشقاء والهم والحزن، والسوداوية التي تسيطر على نفسية القاص إزاء وضعية المثقف وما يعانيه، وفي ذلك يقول: «لقد خلاها في تلك اللحظة زريبة ملأى بالرطوبة وأشلاء من بقايا إنسان العهود الغابرة، تعبر أمامه بأفواه مفتوحة يقطنها الخواء والمجهول والخيانات الراقية، جارية جارية مقبلة مديرة صامدة نازلة تتلوى في مقبرة معصرة تحلوا الملح والفحم البارد»[3].

فالفحم مرادف لوني يدل على السواد، ووظف هنا ليكرس حالة القاص وتذمره منها، هذا الحالة المليئة بالحزن والمرض والصراع الداخلي.

ومن بين الألفاظ التي فعلت دلالة اللون الأسود هي لفظة الزنجية والتي وظفها بوطاجين للتعبير عن السواد الذي يتركه الضغط الممارس على المغلوب في مجتمع متشبث بمرجعيات يزعم أنها عقدية، وفي

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "السيد صفر فاصل خمسة"، ص 22.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 24.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 71.

ذلك يقول: «القرية مساحة زنجية وزخات المطر ما تزال منهمكة في ترتيب وجه الدشرة التي صنعت على عجل ثم نسيت»[1].

وللتعبير عن الفكرة نفسها أورد القاص لفظة العتمة الموحية لليأس والكآبة والتي تتسم بسمة السواد أي الظلام الحالك، إذ يقول في ذلك: «... وشعر يعقوب بالبرد والجوع واللاجدوى، إلى ذلك ينضاف الجو المعتم الموحي بالقنوط»[2].

ومن خلال الأمثلة السابقة وغيرها التي زخرت بها القصص، نصل إلى أن القاص قد وظف اللون الأسود في صور خيالية مشحونة بالسلبية ومتداولة، والتي تدل على الكآبة والخوف والظلام وهو في ذلك يعكس لنا الصورة السلبية لحال المجتمع.

2) اللون الأبيض وصوره التخيلية:

لما كان اللون الأبيض يرمز للنقاء والطهر والأمل؛ فقد وظفه القاص بدلالته الإيجابية المتعارف عليها. فقد تجلت هذه الإيجابية في نصوص بوطاجين فجاءت في صور متعددة أضفت على القصص نوعا من التفاؤل والأمل التي ينتاب القاص ويطمح إليه دائما كما في قوله: «على طول الرصيفين عمارات بيضاء ساحقة تسيل اللعاب. وداخل تلك البيوت السرية مدن عامرة بالطقوس الغامضة البعيدة عن الإدراك، مدن خاصة تستضيف الشمس والقمر وقوس قزح ولا تعرف اليأس، تستيقظ راقصة وتنام تحت ضوء ألف قنديل وتحية ...»[3].

فالقاص يصف عمارات العاصمة بثوب أبيض مغر، ويتفاءل بهذه المدينة حين يسخر ضياء الشمس، بل ويزداد جمالالعاصمة في غضون الليل وهي محاطة بآلاف القناديل.

وفي صورة أخرى لدلالة اللون الأبيض نجد القاص يشير إليها من خلال وضعه لبعض القرائن الموحية إليها، والتي تمثلت في لفظة الضياء؛ والتي تدل على النور أي الأمل، والإشراق واللمعان، فجسدها القاص في صورة طائر النورس المهاجر المعروف بشدة بياضه، إذ يقول: «... ومنها يشتق اسما آخر أكثر خصوبة ولمعانا، يتبناه ويولد من جديد، نورسا مهاجرا يوزع الضياء»[4].

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 29.

[2]- المرجع نفسه، ص 29.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "جمعة شاعر محلي"، ص 34.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "خطيئة عبد الله اليتيم"، ص 06.

والملاحظ أن القاص وظف اللون الأبيض في جوانب إيجابية للدلالة على بصيص الأمل والتفاؤل الذي يبحث عنه القاص طامحا في انبلاج فجر جديد.

3) اللون الأحمر وصوره التخيلية:

أخذ اللون الأحمر حظه الواقر في التوظيف عند السعيد بوطاجين؛ إذ حمله الكثير من الدلالات ذات الأبعاد النفسية والاجتماعية المختلفة، وفق صور من نسج خياله، أضفت على النص جمالية؛ ومن ذلك ما جاء في قصة "أعياد الخسارة" حينما يصف شدة الفقر وقلة الحيلة في مجتمع لا يرحم، بقوله: «ومشى يختال تاركا عيون النحس تأكل بعضها، وكان الأبناء يتغامزون كعفاريت مسلولة ملونة بالأحمر والأخضر»[1].

كما وظف الشاعر اللون الأحمر للدلالة عن الجحيم الذي يعيشه، إذ يقول: «... لأخراتي المعلومات أؤلف أفقا أحمر، ثم أطلب من معذبي أن يعيرني قطعة طبشور على الهواء أكتب: إني يا وطني، جحيم الله ولا جحيم أبنائك اللقطاء»[2].

وتزداد الحال مرارة حين يقدم القاص صورة الجدي الوهمي في أقصى درجة الافتراس مستخدما اللون الأحمر كصفة العينين، إذ يقول: «خطوات أخرى وألتفت وراءه، لم يصدق أبدا، كان الجدي مشدودا بالحبل، جدي أسود ذو قرنين حادين وعينين حمراوين تفرس فيه جيدا ...»[3].

4) اللون الأخضر وصوره التخيلية:

لطالما كان اللون الأخضر رمزا للخصوبة والحياة والأمل والاستقرار فإن بوطاجين قد تحكم في توظيفه على مستوى القصص؛ فتارة يوظفه بمعناه الأصلي، المتعارف عليه، وتارة أخرى يخرج به عن هذا المعنى إلى النقيض التام وخاصة عند تواجده مع قرائن سلبية، كما في قوله: «عريت الشجرة من الاخضرار، وفي مكان الأوراق علقت ضفادع جافة لأقلد الرسامين الكبار الذين عذبوني، ولم أدرك جدوى فنهم المكتظ بالطلاسم والنبوءات»[4].

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 26.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 64.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "ما حدث لي غدا"، ص 25.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "ما حدث لي غدا"، ص 48.

وفي صورة أخرى لدلالة اللون الأخضر يوظفه القاص في هيئة الأمل الذي يودعه بقوله: «... ارحلي يا لحظات الاخضرار»[1].

فهذا التوظيف اللوني زاد المعنى جمالا؛ فالقاص استعمل الأخضر للتعبير عن حلمه الضائع، واليأس الذي أصاب المثقف بعد قتل روح الإبداع فيه.

فالأخضر رغم إيجابيته إلا أن بوطاجين وظفه أكثر في الجانب السلبي مقرونا بألفاظ دلت على اليأس والحزن والكآبة، مما جعل صور دلالات اللون الأخضر قمة في الحرفية والإبداع.

5) اللون الاصفر وصوره التخيلية:

الأصفر لون متعدد الدلالات لارتباطه بأشياء طبيعية مختلفة، فهو مرتبط بالشمس والذهب والنحاس والطيب وبعض الثمار، وهذه أمور توحي بالخير والجمال والتقديس، وهو مرتبط من جهة ثانية بالنبات الجاف والمرض الذي يعتري الإنسان وما يصحبه من تغير في اللون والشحوب، وهي أمور توحي بالضعف والانكسار والحزن[2].

ومن خلال توظيف بوطاجين لهذا اللون تبدو دلالته غارقة في السلبية تحت سيطرة التشاؤم والصراع الداخلي نتيجة الظلم والتعسف الممارس في الواقع، حيث يقول: «... وها هو قد فرزها وما عثر على حلم مهيكل صالح شلة من الأوراق الفاقعة الاصفرار، السيئة الصيت تدب في محيطه الخاص جدا، مجرد شتلة فاسدة بلا أرض»[3].

فاللون الأصفر جاء للتعبير عن وضع سياسي له قوانين جائرة يطبقها قضاة فاشلون؛ إذ دعم هذا المعنى بقرائن سلبية منها (السيئة الصيت , شتلة فاسدة , بلا أرض).

ويتذمر بوطاجين من الوضعية الاجتماعية السيئة التي يعيشها المواطن البسيط، والتي طال أمدها دون تغيير، فوظف دلالة اللون الأصفر للتعبير عن هذا الملل والضجر من هذا الوضع بقوله: «في الغد تناثرت على المقعد الخشبي ورحت أشم حاضري الذي أنتن يومها كانت السماء تعبق بالاصفرار والمخلوقات السابحات في أحلام مهلهلة، وما شوهدت الشمس ممدة على أرائكها»[4].

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 72.

[2]- أحمد المختار عمر: اللغة واللون، ص 114-117.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "خطيئة عبد الله اليتيم"، ص 05.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "ما حدث لي غدا"، ص 52.

وفي السياق نفسه يعبر بوطاجين عن لحظات اليأس والضجر بقوله: «أصبحت النهارات صفراء مثل رائحة المستشفيات وطلي كل شيء الملاعق صلوا على النبي، حتى المطر أصبح ينزل بطين أصفر ولا حول ولا قوة إلا بالله تقول القيامة قامت»[1].

كما استخدم بوطاجين اللون الأصفر للدلالة على المرض الذي أصاب المجتمع واعترى جسد المواطن البسيط الذي أدى به إلى الشحوب، كما في قوله: «وتعقلني يداي ويخونني ظلي، صوت يوهيمي في ليل عتيق: هذا أنا، إني أمضغ ضجر المدن الصفراء في انتظار فتحة مجهرية في جدار الوقت»[2].

ويقول أيضا: «السماء رمادية بدت، البحر أصفر، وعلى الرصيفين استلقى الشحوب وقال: ارحلي يا لحظات الاخضرار»[3].

فالمتتبع لمواطن اللون الأصفر ودلالاته في قصص بوطاجين، سيلاحظ ذلك التوظيف الدقيق له في صور خيالية عكست نفسية الشاعر وصراعه، وأوصلت أفكاره ببراعة وفنية عالية.

6) اللون الأزرق وصوره التخيلية:

وظف بوطاجين اللون الأزرق في نطاق محدود، على أن السمة الغالبة في دلالة اللون الأزرق عند القاص ارتبطت بالخوف والغضب والتعب والشقاء، ومن ذلك ما ورد في قصة "خطيئة عبد الله اليتيم" إذ يقول: «قطعة لحم تنسحب في هدوء ووقار من حتالة الفكر الذي لا يحتوي على مثقال ذرة من الإحساس: خلايا عطاش إلى الظلام الساطع والجدران الزرقاء المكفهرة»[4]. فالقاص يصور غضبه الشديد من انعدام الحس الأخلاقي عند بعض المسؤولين بالجدران الزرقاء المكفهرة.

ويزداد ألم القاص ومرضه، حين يصور حال هذا المتهم بدون تهمه وبنية مبيته في معاقبته إذ يقول: «... وبعدها لم يدر ماذا حصل، تيبس وازرورق وعندما استيقظ وأحصى أسنانه اكتشف خطأ جماليا وبنية مفككة كثيرا»[5]، إذ استعمل اللون الأزرق للتعبير عن العذاب الذي تعرض له عبد الله اليتيم القاسي دون وجه حق فاللون الأزرق جاء ليصور الحالة التي آل إليها المتهم البريء بعد جلده من قبل شداد غلاظ.

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 64.

[2]- المرجع نفسه، ص 64.

[3]- المرجع نفسه، ص 72.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "خطيئة عبد الله اليتيم"، ص 04.

[5]- المرجع نفسه، ص 07

وفي صورة أخرى للون الأزرق، يأنف السعيد بوطاجين من المصارحة، ويختار ان يحشد لعرض آلامه في التعبير عن حالة الإنسان المثقف العربي الشقي بوجوده وأفكاره مجموعة من الصور والدلالات منها ما جاء في قصة "السيد صفر فاصل خمسة": «... وكلما دخلت بقعة عربية إلا وصليبي معي، وإذا خرجت حيا بدم أزرق نسيت شكل وجهي القديم»[1]. في إشارة منه إلى التنكر من الأصل والهوية والتملص من التقاليد.

ويواصل القاص وصف ما يعانيه المثقف؛ إذ يحمل اللون الأزرق دلالة الشقاء والتعب للتعبير عن هذا المعنى بقوله: «... مدخنة تنتج سلوكا أزرق يتدحرج على جباه وحدود فاترة كالبلادة»[2]، إذ لون السلوك بالأزرق للدلالة على درجة التهميش التي يعانيها المثقفون من انتظار وإهمال ورقابة دائمة أدت إلى قمع أفكارهم ووأد إبداعهم.

7) اللون الرمادي وصوره التخيلية:

لم يرد اللون الرمادي ومختلف دلالاته كثيرا في قصص بوطاجين، على عكس الألوان الأخرى؛ بل جاء في مواطن قليلة ونطاق محدود في المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا".

يعتبر اللون الرمادي «لون النفاق والضبابية في كل شيء»[3]، فاستعمل القاص هذه الدلالة للتعبير عن عدم الوضوح، وقمة اليأس من مستقبل مجهول في قوله: «سبحانه مغير الأحوال، يرزقكم من حيث لا تعلمون، الأدعية تؤانس المساء والشجر يرنوا إلى النجم المتحجب بملاءات رمادية»[4].

كما لون القاص السماء باللون الرمادي في صور تعبيرية عن الهم والشقاء الذي طال المثقفين بقوله: «السماء رمادية بدت ...»[5]. وفي المعنى نفسه، يلجأ بوطاجين إلى دلالة اللون الرمادي للتعبير عن «الحياد والهم والشقاء»[6] الذي يعانيه المثقف بقوله: «وكالمحايد راح يشدوا عاليا مبتهجا، متحديا

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "السيد صفر فاصل خمسة"، ص 21

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 71.

[3]- قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة، ، ص 133.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 23.

[5]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 72.

[6]- صالح ويس: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، ص 129.

النبوءات والربى، غير مبال للبرد، ناسيا جلبابه الرمادي المرقع وأقوال الآخرين، أولئك الذين يهمزون ويلمزون لإخفاء طيشهم ...»[1].

فمن خلال هذه النماذج، يكشف لنا بوطاجين عن حياة كانت الخيانة والغدر والتفسخ عنوانها؛ وتوظيفه للون الرمادي في صور مختلفة رغم قلة وروده في القصص، دعم فكرة القاص، فجاءت دلالات هذا اللون تحمل شحنات سلبية معبرة عن نفسيته والصراع الذي يتخبط فيه.

8) التضاد اللوني:

الأسود والأبيض الضدان المشهوران «فقد عرف التضاد في الفن بأنه التباين، فالضوء نقيض الظل، والأبيض نقيض الأسود»[2]. وهذين الضدين أوردهما بوطاجين في قوله: «مثل القمل تكاثرنا في دنيا لا ضوء فيها إلا النزيف، إذن نزيف أبيض وأسود وآخر أسود وأبيض، أجيال كاملة كانت تمشي صوب الاستسلام متمسكة بخيوط الخديعة المزركشة القادمة من سفر اللقاح الخاطئ»[3].

إذ بدأها بالظلام بقوله: "لا ضوء فيها"، ثم جعلها النزيف (الأحمر) الذي يقصد به الدم الرديف للون الأحمر أبيضا وأسود وآخر أسودا وأبيضا، وكل هذه الصور جاءت لتعبر عن صراع داخلي رافضا جور القوانين ضد الضعفاء الذين لا يجدون بدا من الاستسلام لمرارة الواقع والرضا به.

إلى جانب هذه الألوان تزينت قصص بوطاجين بألوان أخرى كالفستقي الذي ورد بوتيرة أقل من سابقتها.

كانت هذه أهم النماذج لصور الألوان التي حفلت بها المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، والتي ابتكر فيها بوطاجين صورا لدلالات الألوان من خياله بعد أن صبغها بروحه، وبنوعية انفعالاته، فغدت جديدة كل الجدة، ولافتة للنظر.

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 87.

[2]- ابتسام مرهون الصفار: جمالية الشكل اللوني في القرآن الكريم، ، ص 104.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "سيجارة أحمد الكافر"، ص 75.

وفيما يلي هذا جدول لإحصاء الألوان ودلالاتها في المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا" لبوطاجين:

رتبة اللون	لفظ اللون	تردده بلفظه	تردده بمعناه	المجموع
01	الأسود	07	12	19
02	الأبيض	04	04	08
03	الأحمر	03	04	07
04	الأخضر	03	01	04
05	الأصفر	06	X	06
06	الأزرق	05	X	05
07	الرمادي	03	X	03
08	الفستقي	01	X	01

المبحث الثالث: الأثر الفني لتوظيف الألوان في المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا" لبوطاجين

الصورة هي كشف الحقائق الإنسانية الخفية وإخراجها إلى الواقع بشكل فني، «فهي وسيلة جوهرية تهدف إلى التعرف على خفايا غامضة من التجربة»[1].

كما أنها تؤدي الوظيفة الدلالية التي تعجز اللغة عن أدائها، فكلمات اللغة المحدودة لا تستطيع التعبير عن جميع المعاني الداخلية التي يشعر بها الفنان، والكامنة في نفسه؛ لهذا يلجأ الأديب إلى الصورة الفنية المتمثلة في «المجاز والرمز وعقد المقارنات و التشابيه، والاستعانة بالعالم الخارجي من ألوان وأصوات وروائح وغيرها من المحسوسات»[2].

فالصورة تمكن القارئ من الولوج في عالم القصة، وتدخله متاهة فك الشفرات ويساهم بوعيه في الوصول إلى المعنى المطلوب نسبيا.

وفي ظل الحداثة الأدبية والتجديد على مستوى طريقة طرح الأفكار، أدرك الأدباء المعاصرون، أن الصورة الفنية يجب أن تستمد معانيها من واقع الإنسان المعاصر في عصر العلم والتكنولوجيا، واختلاف الثقافات؛ فالأديب المعاصر يحاول أن يستكشف آفاق العلم الواسعة وينهل من جميع الثقافات، مما جعل الصورة معقدة في نصوص الأدب المعاصر.

إن مسايرة الحداثة لن تكون إلا بالخروج عن المعتاد كون «الصناعات الخارجة عن المعتاد تدل على انفراد صانعها بالصنعة، فالصانع إذا انفرد بصنعته، وبان بمذاقته، عن الأشكال. كانت صنعته شاهدا له عند من رآها ودليلا عند من طلبه»[3].

---

[1]- عبد المجيد هيمة: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2003م، ص 70.

[2]- عثمان حشلاف: التراث والتجديد في شعر السياب (دراسة تحليلية جمالية في موارده، صوره، موسيقاه، ولغته)، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، ص 90.

[3]- أدونيس: الثابت والمتحول (بحث في الإبداع والإتباع عند العرب)، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط7، 1994م، الجزء الأول، الأصول، ص 155.

ولن يتحقق ذلك إلا في أحضان النص المنفتح «الذي ينطلق من زمان ومكان ليسبح في كل زمان ومكان»[1].

وسيرا على درب أدباء الحداثة ينحوا القاص "السعيد بوطاجين" في كتاباته منحى متميزا في إدراج الصور اللونية التي حفلت بها مجموعته القصصية "ما حدث لي غدا"، إذ عمد إلى هدم الصور الثابتة التي حصرتها البلاغة القديمة في التشبيه والاستعارة والمجاز، ليجتازها كما الحال عند شعراء الحداثة إلى صور أخرى وفي هذا يقول "طه وادي": «إن دراسة القصيدة الحديثة والمعاصرة بمعايير البلاغة التقليدية، قتل متعمد مع سبق الإصرار لروحها الجمالية وطبيعتها الفنية»[2].

لقد اعتبر القاص "بوطاجين" أن التداول والذيوع يقتل روح الإبداع، وإن التشبيهات المتداولة، سرعان ما تتآكل، وتضحى جزءا من الدلالة، مما جعله يتحرر من قيود الكتابة التقليدية متخذا لغة الإشارة والرمز بديلا عن الوضوح والتقرير، ليكشف عن تجربة ذاتية عميقة بأسلوب متميز.

لذا فإن حضور الصور اللونية في المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا" لبوطاجين، كان لها دور كبير في صناعة المعاني النصية، وتمويه القارئ لما تميزت به من خصائص نذكر منها:

أ- اللغة المجازية:

انفردت كتابات بوطاجين بصور لونية جديدة غير مألوفة، وذلك بالتكثيف اللغوي الدلالي لدلالات الألوان، والذي يجر القارئ نحو متاهات لغوية، إذ تنفتح لفظة اللون أو رديفها في السياق على أكثر من معنى واحتمالها لتعدد الدلالات وعلى سبيل التمثيل لذلك يقول في قصة "سيجارة أحمد الكافر": «مثل القمل تكاثرنا في دنى لا ضوء فيها إلا بالنزيف، إذن نزيف أبيض وأسود وآخر أسود وأبيض ...»[3].

---

[1]- من مقال بعنوان: حداثة الكتابة الروائية في رواية "أعوذ بالله" للسعيد بوطاجين، مجلة مسارب في 2013/12/26م، الساعة 16:29 في موقع: massreb.com/?p:5568.

[2]- طه وادي: جماليات القصيدة المعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية للنشر، لونجمان، ط1، 2000م، ص 13.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "سيجارة أحمد الكافر"، ص 75.

فهذا التعدد للألوان (الأبيض والأسود) والألفاظ التي تدل عليها أو تحمل معناها دون ذكر اللون صراحة مثل: (نزيف – لا ضوء فيها – الاستسلام – المزركشة) تدعم المعنى وتحمل القارئ إلى أجواء لغوية غير مألوفة.

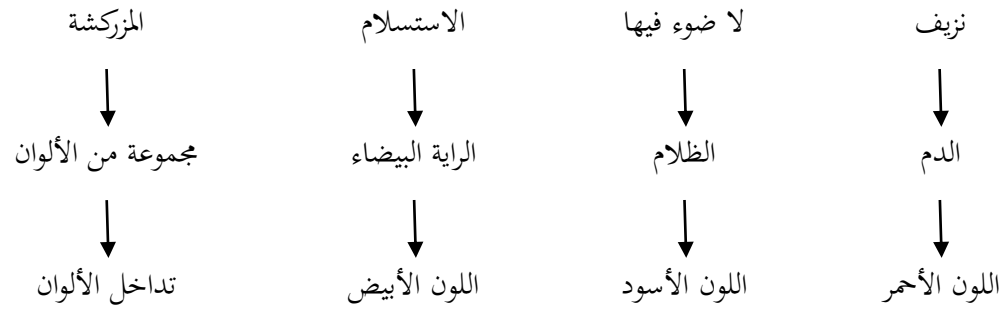

وفي هذا النوع من التعبير ينتج عن احتمال الدال الواحد لمدلولين نقيضين؛ الأول ظاهر والثاني خفي مرهون بالسياق، ويقترب هذا النوع من المجاز والاستعارة خاصة.

1. الاستعارة: كما هو معروف عن الاستعارة؛ فهي نوع من المجاز، وهي بنية ذات دلالة ثنائية (صريحة وتلميحية).

وقد جاءت الاستعارات اللونية عند "بوطاجين" مستحدثة، ومناقضة للصور اللونية الباهتة المتداولة التي يرى القاص أنها فقدت وظيفتها التأثيرية، يقول: «... لذا سعيت إلى البحث عن الاستعارات الحية تفاديا لتكريس التداول لاعتقادي أن ما شاع وذاع مناف لروح الإبداع، كما أن التشبيهات الثابتة التي غدت بديهية، أو دلالات مكررة بتعبير هيجل»[1]، ويشرح مقصده من الدلالات المكررة بقوله: «... مجموع أشكال الاستعارات التي لا تؤثر في المتلقي من حيث أنها معروفة ومتوقعة، مثل مفترس كالذئب ... وغيرها من الصور والتشبيهات غير المؤهلة لقلب قناعة القارئ»[2].

وفي هذا نجد القاص، قد لجأ إلى اللغة المجازية الاستعارية في توظيف اللون ودلالاته في مجموعته القصصية "ما حدث لي غدا"؛ وقد تمكن من صنع نسيج من البنى الدلالية المفارقة للألوان التي تستدعي

[1]- السعيد بوطاجين: مقال بعنوان القصة القصيرة والمجانسة، كلية الآداب والفنون، جامعة مستغانم، تاريخ النشر: 02 يونيو 2013م، موقع: http://attanafous.univ.mosta.dz/index.php/2/53.

[2]- المرجع نفسه، موقع سابق.

فضول القارئ وتدخله متاهة الصراع مع اللامعقول، وارتأينا ها هنا أن نعرض بعض الاستعارات للقاص منها في قوله: «على طول الرصيفين عمارات بيضاء ساحقة تسيل اللعاب، وداخل تلك البيوت السرية مدن عامرة بالطقوس الغامضة البعيدة عن الإدراك، مدن خاصة تستضيف الشمس والقمر وقوس قزح ولا تعرف اليأس»[1].

فالقاص استعار صفة الاستضافة من الإنسان الذي يكون ضيفا أو مستضافا وجعلها صفة للمدن التي تستقبل ضيوفها وهم الشمس والقمر وقوس قزح، فالشمس والقمر تعني الضياء، فهي سمة من سمات اللون الأبيض، ويقصد القاص بهذه الاستعارة المكنية هو التعبير عن الفرح والسرور، وفي استعارة أخرى نجد القاص قد جمع بين شيئين لا تجمع بينهما علاقة منطقية؛ في قوله: «القرية مساحة زنجية»[2]؛ وقد أسند بوطاجين لون السواد المراد التعبير عنه إلى لفظة "زنجية"؛ وهو يريد بذلك كسر آلية التفكير السائد عند المتلقي، وإفساد توقعاته ليخرج به عن المألوف في الطرح الفني للفكرة، وهي «تكنيكات فنية يوظفها الأدباء المعاصرون، من أجل خلق التوازن الداخلي الذي يفتقدونه خارجيا، أو واقعيا، وآية ذلك أن هذه التراكيب الاستعارية لم ترد من فراغ، وإنما هي وليدة موقف نفسي وثقافي»[3].

فالبعد بين قطبي الاستعارة يستفز القارئ ويحثه على السعي نحو فهم المعاني والدلالات اللونية الموظفة فاسحا المجال نحو «خلق معان جديدة من خلال علاقات لغوية جديدة»[4]. وبصورة تهكمية ساخرة، والتي كانت سمة بارزة في أسلوب بوطاجين الذي استخدم الاستعارة بشكل جديد، فهو يسعى إلى تقديم دوال لونية بتوظيف غير معهود ولا مألوف من قبل، ومن ذلك ما جاء ف قوله: «... مدخنة تنتج سلوكا أزرق يتدحرج على جباه وحدود فاترة كالبلادة»[5].

فالجمع بين المدخنة والسلوك الملون بالأزرق، يشكل صدمة للقارئ، إذ يباغته القاص بين الفينة والأخرى في تقديم أشياء غريبة، ما أعتاد المتلقي على معرفتها، وذلك أن المدخنة تخرج الدخان (السواد)،

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "جمعة شاعر محلي"، ص 34.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 29.

[3]- ينظر: قطوس بسام: الإبداع الشعري وكسر المعيار، مجلس النشر العلمي الكويت، 2005م، ص 56.

[4]- المرجع نفسه، ص 47.

[5]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص71.

وليس السلوك الأزرق، أي الجمع بين الحسي والمعنوي، فبوطاجين يرسم رؤيته السوداوية من خلال إقامة علاقات بين أشياء ويقيم بنى جديدة، لخلق تأثيرات معينة لدى المتلقي، محدثا بذلك مفارقة.

فالاستعارة تزداد حسنا وتأثيرا بمدى خفاء التشبيه وضعفه، بيد أن الصورة الناتجة عن المفارقة غالبا ما تتسم بالغرابة في السماع والاستقبال بسبب العلاقات القائمة بين عناصر الجملة المكونة لها، لذلك يحتاج فكها إلى ذهن يقظ ومتمرس، كما في قوله: «خلايا عطاش إلى الظلام الساطع والجدران الزرقاء المكفهرة»[1]، استعارة عن مدى الظلم والجور الممارس على البسطاء.

ولو أجملنا النظر في قوله الاستعاري الغريب من نوعه: الظلام (الساطع)، فالظلام لا يسطع وإنما يخيم، الجدران الزرقاء المكفهرة (المضطربة)، فالجدران تلونت بلون الغضب وأصبحت مكفهرة زرقاء، مع أن اللون الأزرق لطالما كان لون الأمل والهدوء؛ فالقاص هنا يكشف عن تعاطفه مع المغلوبين والبسطاء الذين يعانون جور المسؤولين المتسلطين، فحشد لذلك مجموعة من الألفاظ الغريبة ليبني علائق جديدة وفريدة من نوعها، تودي بالمتلقي في متاهات التساؤل عن كنه هذه الروابط المستحدثة، لتضعه في الأخير صور الظلم والتعسف والفقر والحزن.

لا تتحدد بلاغة الاستعارة عند بوطاجين، حين تتشكل المفارقة عنده في قوة الشبه اللوني كما يبدو من أول وهلة، وإنما يتحدد معنى الكلمة إما في خفاء وجه الشبه خفاءا يجعل التصريح به أمرا مستنكرا، وإما وفق السياق الجديد هو إطار الاستعارة، وهذا المعنى ليس المعنى الحقيقي وإنما معاني جديدة.

2. التشبيه اللوني عند بوطاجين: أما بالنسبة للتشبيهات؛ فقد اعتبر القاص "بوطاجين" أن التداول والذيوع يقتل روح الإبداع، وإن التشبيهات المتداولة سرعان ما تتآكل وتضحى جزءا من الدلالة، فيوضح مرامه من ذلك قائلا: «اما غاية العدول عن النموذج، فتمكن في مناقضة الصورة الباهتة ...، إن تآكل التشبيهات سيؤدي حتما إلى ضياع جزءا من الدلالة التي يراد تمريرها كما يقضي على ممكنات المتخيل ويجعل النص رياضيا باحتكامه إلى الصور النمطية المكدسة في الأسواق وفي الكتب شبه المدرسية»[2].

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "خطيئة عبد الله اليتيم"، ص 04.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "ما حدث لي غدا"، موقع سابق.

ويؤكد القاص أيضا ان الهدم للصور التقليدية في ثنايا قصصه لم يكن متكلفا، وإنما عفويا غرضه قصور الدوال عن أداء المعنى، «... هناك حالات تتجاوز القدرات التعبيرية القائمة لأنها أكبر من الموروث التصويري المتاح في البلاغة المتداولة»[1].

نوع بوطاجين في تشبيهاته ومنها في قوله: «... محلقين حول الكانون مثل قطع من الفحم»[2]. فالقاص هنا وظف أحد صفات اللون الأسود الدالة على شدة الاسوداد وهي الفحم وجعل منها مشبه به للتعبير عن الأسى والتعاسة والشقاء، لجبر القارئ على استحضار إيحاءات اللون الأسود وربطها بالمعنى المقصود والتي دعمها بمجموعة من الألفاظ الموحية والداعمة لها في المعنى وهي: (الصغار، الكانون، قطع).

وفي تشبيه آخر له يقول بوطاجين: «أصبحت النهارات صفراء مثل رائحة المستشفيات»[3] في إشارة منه إلى اليأس الذي يجتاح داخله فشبه النهارات والتي وصفها بالصفراء برائحة المستشفيات، فهو هنا يقيم الشبه بين شيئين لا يظهر وجه الشبه بينهما واضحا؛ إذ وظف لفظ اللون الأصفر؛ الذي يحمل دلالة المرض المباشرة التي عرف بها منذ القدم، والمستشفى هي مكان علاج المريض، ولكن رائحتها لا تبعث على الارتياح للمريض، فاستعان الشاعر بلفظة رائحة التي تعد شيء حسي، ليقيم هذا الشبه غير المتوقع لدى القارئ ليستوقفه إجباريا عدة مرات لفك شفرة هذه الصور والتي تزيد في انجذابه نحو الموضوع.

3. الكناية واللون عند بوطاجين: أما بالنسبة للكناية فقد جسد بوطاجين مجموعة من الصور اللونية، والتي كانت غاية في الفنية والجمالية؛ فكانت محطات متنوعة ومتميزة، فيما وقفات على طبيعة العلاقة بينه وبين الألوان ودلالاتها، ليصنع فضاء غريبا يفرض على القارئ ربط علاقات ومحاولة التأويل وفك الصور، ومن بينها ما جاء في قوله: «... فاجأنا سائل أسود الجوهر، الجوهر هتفنا»[4].

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "ما حدث لي غدا"، موقع سابق.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "أعياد الخسارة"، ص 24.

[3]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة " اعترافات راوية غير مهذب"، ص 64.

[4]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة " السيد صفر فاصل خمسة"، ص 14.

فالأسود هنا كناية عن الحقد والنوايا السيئة، فهنا تنكشف الدلالة السلبية للون الأسود، والتي أدرجها الكاتب بأسلوب ساخر متهكما بمن يدعون الثقافة. في مقابل قمع المثقفين الأحرار.

كما بلغت صورة الكناية عند بوطاجين فنية وجمالا عند قوله: «وكلما دخلت بقعة عربية إلا وصليبي معي، وإذا خرجت حيا بدم أزرق نسيت شكل وجهي القديم»[1]. فالدم الأزرق هنا تم إدراجه كناية عن التنصل من الأصل والخروج عنه بكل برودة؛ وبهذا يكون اللون الأزرق قد أخذ مدلولات جديدة اختلفت وفقا للمجال الذي استعملت فيه.

فالمعروف ان الدم لونه أحمر، فالقاص عندما يقول: "بدم أزرق" يخلق الدهشة والمفاجأة بهذا التوظيف لدى القارئ، محدثا بذلك مفارقة في عملية تشفير الصورة الناتجة عن هذا التوظيف الشاذ، الذي يشد انتباه المتلقي لما لهذه الصور من تأثير، إذ أنها تبدو عفوية تحاكي تحرية القاص وواقعه المعيش المليء بالمتناقضات والظلم واليأس، الأمر الذي أكسب الصورة نوعا من المصداقية التي باتت تغازل انتباه القارئ وتدعوه إلى استكناه أسرارها.

ب- ظاهرة الانزياح في توظيف اللون عند بوطاجين:

الانزياح أو العدول اللغوي من أهم الظواهر النقدية، التي ينصب عليها اهتمام الدارس لما يمتاز بها الأسلوب الأدبي المعاصر وخاصة الشعر منه، «فاستعمال اللغة الشعرية لن يكون غلا بتفجير الطاقة التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالمها الافتراضي إلى الوجود اللغوي، فكأن اللغة مجموعة شحنات والأسلوب هو إدخال بعضها في تفاعل مع البعض الآخر محدثا ضغطا على المتلقي، مولدا عنده الإقناع كشحنة منطقية والإمتاع كشحنة عاطفية، والإثارة كشحنة استفزازية، ومن هذه الشحنات المتداخلة، تبرز القدرة الإيحائية التي تميز النص الأدبي حيث لا تترك الألفاظ على حالها الأصلي، بل تزاح عن واقعها الأصلي العادي إلى واقع جديد»[2].

والانزياح الدلالي من أبرز ملامح السرد القصصي عند بوطاجين، وخاصة ذلك المتعلق بتوظيف الألوان؛ إذ شكل لغته وفق ما تقتضيه حاجته غير آبه بالحدود والأنظمة والدلالات الوضعية؛ فعمد إلى

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة " السيد صفر فاصل خمسة"، ص 21.

[2]- عامر سامي منير: وظيفة الناقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعارف، ص 146.

الانتقال مما هو ممكن إلى ما هو غير ممكن من خلال استخداماته الانزياحية في مجال الألوان إذ يقول: «مثل القمل تكاثرنا في دنى لا ضوء فيها إلا النزيف. إذن نزيف أبيض وأسود وآخر أسود وأبيض ...»[1]. فالملاحظ هنا استخدام القاص لأسلوب عدولي (نزيف أبيض وأسود) وهذا ما يعتبر من عناصر الانزياح في النص الأدبي.

كما استخدم صورة بلاغية تقوم على الجمع بين شيئين متنافرين، لا علاقة مكشوفة تجمع بينهما، فوصف القاص النزيف أو الدم بالسواد والبياض فيه تنافر مع ما يعرف عنه من أنه أحمر، إضافة إلى ذلك فإنه أحدث مفاجأة، فخلق حالة من عدم التوافق بين الصفة والموصوف محققا بذلك انزياحا دلاليا آخر.

فتناقض الألوان الأبيض والأسود والأحمر رسم صورة غريبة بديعة أسبغ عليها لمساته الفنية، مكسرا نمطية التفكير لدى المتلقي (النزيف الأحمر) سعيا منه نحو خلق معان جديدة من خلال صلات لونية جديدة تعبر عن نفسية القاص وأفكاره بطريقة حديثة ومبتكرة.

وتتكرر مثل هذه الصفات اللامتجانسة في قصص بوطاجين منها في قوله: «السماء رمادية بدت، البحر أصفر، وعلى الرصيفين استلقى الشحوب وقال ارحلي يا لحظات الاخضرار»[2]. فهذه اللوحة اللونية توحي بتنافر مستحكم، إذ لون السماء بلون غير لونها (الأزرق) والبحر باللون الأصفر؛ وما زاد تعميق لهذه الصورة اللونية المتنافرة توالي الاستعارات الجزئية مثل (استلقى الشحوب)، (ارحلي يا لحظات الاخضرار) ليحقق بذلك انزياحا دلاليا.

فهذه الصورة اللونية تكشف نفسية القاص، الذي يرى صورة الشيء في صورة ضده، وهذا إيحاء عن باطنه الحزين والحائر الذي يرى السماء رمادية للدلالة على ضبابية الواقع واللاوضوح في المستقبل، والبحر أصفر للدلالة على المرض والتعب واليأس.

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "سيجارة أحمد الكافر"، ص 75.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "اعترافات راوية غير مهذب"، ص 72.

وفي صورة أخرى وصف بوطاجين الدم بصفة ليست له وهي على غير المتوقع فوصفه باللون الأزرق وهذه الصفة تحدث تنافرا مع الموصوف الدم هذا السائل الحيوي معروف بلونه الأحمر بقوله: «... خرجت حيا بدم أزرق، نسيت شكل وجهي القديم»[1].

فالتناقض الواضح في هذا التوظيف، جعل المعنى متميزا، وذلك أنه طوع كثيرا من الصفات التي تبدو متنافرة دلاليا مع موصوفاتها، وأقام علاقات دلالية بين الكلمات، وأسبغ عليها من الصفات الإنسانية التي جعلت المعاني ومدلولاتها تتوالد بصورة فنية جميلة.

بالإضافة إلى خلق علائق لغوية جديدة؛ جدد بوطاجين على مستوى التناص عنده في محاولة التأسيس لمرجعية دينية بقوله: «وها هو قد فرزها وما عثر على حلم مهيكل صالح، شلة من الأوراق الفاقعة الاصفرار، السيئة الصيت تدب في محيطه الخاص جدا ...»[2].

محدثا بهذا تناصا مع الآية 69 من سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (سورة البقرة، الآية 69).

إلا أن هذه المرجعية سرعان ما تتلاشى إلى مدلولات عميقة تضفي على النصوص تعقيدا معنويا وصعوبة كبيرة لكشف القصد الوظيفي والغاشي من استعمالها بسبب انحرافها عن سياق ورودها، ودخولها سياقات لا تناسب استعمالها ظاهرا، وهنا تنتج المفارقة؛ مما يجبر القارئ على التجاوب مع هذه النصوص بوصفها خطابات مرجعية ليحولها إلى استدلالات ومؤشرات رمزية في محاولة الوصول إلى المعنى وهذا بتوظيف العناصر المحيطة[3].

تتمتع الصورة في ثنايا قصص بوطاجين بالحيوية والنشاط؛ إذ وهو يتعدى اللغة الكلاسيكية يمنح الصورة بعدا حركيا يمكنها من التفاعل مع المستجدات ومواكبة العصور لانفتاح دلالتها وانفلاتها من الخطية الزمنية والشكلية والمعنوية؛ كما أنها اتسمت بالتجريد المطلق الذي يحتاج إلى إعمال العقل وقراءة تأويلية محكمة؛ فهو يتغلغل في بواطن والأسرار الأشياء، وبالتالي تغدو الصورة عنده رهينة الخيال والعقل.

---

[1]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "السيد صفر فاصل خمسة"، ص 21.

[2]- السعيد بوطاجين: المجموعة القصصية "ما حدث لي غدا"، قصة "عبد الله اليتيم"، ص 05.

[3]- ينظر: عبد الحميد يورايو, النص و الظلال، ص 89

خاتمــة

بعد التجوال بين دلالات الألوان ودراسة خلفياتها في المجموعة القصصية للسعيد بوطاجين، نخلص إلى عرض ما توصلنا إليه من نتائج في النقاط التالية:

1- لجأ السعيد بوطاجين إلى الألوان في التعبير عن أفكاره في قصصه متأثرا بالبيئة التي نشا فيها، مما حفزه على الإبداع القصصي وانعكاس ألوان هذه البيئة على مجموعاته القصصية.

2- تنوعت الصور التخيلية لدلالات الألوان في مجموعة "ما حدث لي غدا" فقد غطى اللون الأسود مساحة معتبرة من قصص بوطاجين مصورا حالته النفسية المتذبذبة، التي يسيطر عليها التشاؤم والصراع الداخلي , تنوع في صور اللون الأسود ومنها على سبيل المثال (الفحم، القطران، الظلام، الظل، الزنجية، السواد، العتمة)، إلى جانب صور الألوان الأخرى حيث تنوعت ألفاظها و دلالاتها، ما أدى إلى تنوع معانيها .

3- كثرت دلالات الألوان في قصص بوطاجين وتنوعت؛ إذ لم تأت أحادية الدلالة، وإنما كان اللون الواحد يعطي مدلولات متنوعة حسب وروده في السياق القصصي المعين.

4- تنفتح نصوص بوطاجين على بنية من الدلالات اللونية القابلة للتأويل والمنفتحة على تعدد الدلالة، فلا يمكن للقارئ أن يفهم النص دون التوقف عند دلالات الألوان وصورها لفك شفراتها، لكون هذه الرموز علامات ومؤشرات دلالية تقدم للقارئ الخلفية الفكرية والذهنية لصاحب النص.

5- عمد السعيد بوطاجين إلى هدم الصور البلاغية السائدة، وتجاوزها إلى صور جديدة أكثر قابلية للتأويل، تصنع ذاتها من اللغة الإبداعية الخاصة به والتراكيب الدلالية للألوان الخارقة التي طبعت نصوصه.

6- تتميز الصورة اللونية الفنية عند بوطاجين بالقوة والغموض والتمويه والمرتكزة على اللون مع تفعيل لدور الحركة والرائحة والصوت واستخدام تضاد الألوان.

7- إن السعيد بوطاجين في مجموعته القصصية يخرج الألوان من معناها المتداول عن سياقه المعتاد، فكثرت استخدامات الألوان المثيرة للعاطفة مثل اللون الأحمر والتي تدل على الثورة على واقعه المعيش المنغمس بالرجعية، وهو بهذا يخلق لنفسه حدود لغوية خاصة به.

إن صور الألوان بمختلف دلالاتها، كان لها دور كبير في صناعة المعاني النصية، وحياكة المشاهد القصصية، وتلوين السرد عند بوطاجين، وتمويه القارئ بمعالم تكشف عن نفسية القاص المضطربة، بل وإبداعه في إخراج الصور الفنية من مجرد التشبيه والاستعارة إلى حلقات أوسع، وصورا فنية حديثة، تتماشى وجدة الفكرة وحيوية اللغة الشعرية لديه.

وفي الأخير نود أن نشير إلى أن مظاهر التوظيف للألوان عند السعيد بوطاجين في مجموعته القصصية "ما حدث لي غدا" شيء متميز ويحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل، لاستجلاء مظاهره ومعرفة أسراره وهو ما ستتكفل به بحوث المستقبل.

والحمد لله رب العالم

المصادر و المراجـــع

**- المصحف الشريف، برواية ورش عن نافع.

1- أباد مرضية: دلالات اللون في شعر يحي السماوي، مجلة إضاءات نقدية (فصلية)، العدد 8، 2012م.

2- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة من خطب الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتاب العربي، القاهرة، ج6، ط1، 2007م.

3- أدونيس،: الثابت والمتحول (بحث في الإبداع والإتباع عند العرب)، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط7، 1994م، ج1.

4- الإسكافي الخطيب: كتاب مبادئ اللغة، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، ط1، 1985م.

5- الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صغوان داؤدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م.

6- الأعشى ميمون بن قيس: الديوان، دار صادر، بيروت، د.ط، 1994م.

7- عبد الله أحمد حمدان محمد: دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008م.

8- أنيس إبراهيم: دلالة الألفاظ، مطبعة لجنة البيان الغربي، القاهرة، د.ط، 1975م.

9- امرؤ القيس: ديوانه، دار صادر، بيروت، د.ط، 1998م.

10- أبو إسلام أحمد بن علي: دلالات الألوان في القرآن، دار النهضة، لبنان، ط1، 2008م.

11- بدر يوسف شوقي: جبل الثلج العاتم، دراسات في القصة القصيرة، نادي القصة، القاهرة، ط1، 2007م.

12- البصام حسن: البحث عن اللون، الموقع: www.arabfan.com/magazine.

13- بورايو عبد الحميد ومجموعة من الباحين: النص والظلال، فعاليات الندوة التكريمية حول الدكتور سعيد بوطاجين، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، مدوحة تيزي وزو، جوان 2009م.

14- بوزياني خالد: الصورة الأدبية وخصائصها اللغوية عند البلاغيين والأسلوبيين، مخطوط دكتوراه، جامعة الجزائر، 2007م.

15- بوطاجين السعيد: ما حدث لي غدا، منشورات التبيين، الجاحظية، سلسلة الإبداع الأدبي، د.ط، 1998م.

16- الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2002م.

17- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1 ج13، ج7، 1998,1997م.

18- الجرجاني عبد القاهر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 1979م.

19- الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001م.

20- الجزائري أبو بكر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتب العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1994م.

21- عبد الجبار جواد، فاتن: اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، ط1، 2009م.

22- عبد الجبار جواد فاتن: سيميائية اللون الأخضر، القنوع والانفتاح، جوهر العلاقة في الشعر، أمل دنقل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 14، العدد 2، 2007م.

23- الجنباز محمد منير: كسوة الكعبة الشريفة لماذا سوداء؟، مجلة الألوكة الثقافية، الموقع: www.alujag.net.

24- الحاوي إيليا: شرح ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981م.

25- حشلاف عثمان: التراث والتجديد في شعر السياب (دراسة تحليلية جمالية في موارده، صوره، موسيقاه، ولغته)، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ت.

26- عبد الحميد حسن نارمين: توظيف اللون في شعر ابن الرومي، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، تحت إشراف: د. أحمد يوسف، قسم الآداب، د.ت.

27- حمدان محمد أحمد عبد الله: دلالات الألوان في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008م.

28- الخفاجي ابن سنان: سر الفصاحة، اعتنى به وخرج شعره: داود غطاشة الشوابكة، دار الفكر، الأردن، ط1، 1427هـ/2006م.

29- الخرابشة علي قاسم: أثر العقل والعاطفة في بناء الصورة الشعرية، مجلة اللغة والاتصال (مجلة علمية محكمة)، جامعة وهران – الجزائر، العدد 15، جانفي 2014م.

30- خليفة عبد الكريم: الألوان في معجم العربية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، سنة 1987م.

31- ابن دريد: جمهرة أشعار العرب، شرحها وضبط نصوصها وقدم لها: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.

32- ابن دريد: جمهرة اللغة، علق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، المجلد الأول، ط1، 1423هـ-2005م.

33- الدخيلي حسين علي: البنية الفنية لشعر الفتوحات الإسلامية في عصر الإسلام، دار الحامد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2011م.

34- الرضي الشريف: ديوان الشريف الرضي، شرح: يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، المجلد 1، ط1، 1415هـ/1995م.

35- الزواهرة ظاهر: اللون ودلالته في الشعر، دار الحامد، عمان، ط1، 2008م.

36- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، القاهرة، د ت، ج3.

37- الزوزني حسين: شرح المعلقات السبع، الشركة الجزائرية اللبنانية، ط1، 1428هـ-2007م.

38- ابن سهل الأندلسي: ديوانه، قدم له: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، 1967م.

39- السياب بدر شاكر: ديوان أنشودة المطر، دار العودة، بيروت – لبنان، د.ط، 1989م.

40- سيار الجميل: فلسفة الألوان ... ما سيد الألوان عند البشر؟؟ تاريخ النشر: 2009/03/20، الموقع: www.sayyaraljamil.com.

41- الشابي أبو القاسم: ديوان أغاني الحياة، دار الجيل، المجلد الأول، بيروت - لبنان، ط1، 2008م.

42- الشريفي كريم عباس: الأبعاد الفكرية والنفسية في رسوم سلفادور دالي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 21، العدد 2، 2013م.

43- الشريفي كريم عباس: اللون ودلالاته في الشعر، مجلة الرأي الثقافي، عمان، تاريخ النشر: 2008/09/21م، الموقع: www.alrai.com.

44- الشيتوي صالح: رؤى فنية - قراءات في الأدب العباسي – جماليات اللون في شعر بشار بن برد، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، د.ت.

45- صالح حسين: الإبداع وتذوق الجمال، دار دجلة، عمان - الأردن، ط1، 2008م.

46- صبح علي علي: الصورة الأدبية (نقد وتأريخ)، دار إحياء الكتب العربية، د.ط، د.ت.

47- الصفار ابتسام مرهون: جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2010م.

48- طاهير حورية: التوتر في تجربة السعيد بوطاجين القصصية (دراسة جمالية)، جامعة سعيدة، الجزائر، مجلة قراءات، العدد 5، 2013

49- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ج10، د.ط، 1992م.

50- طبشي إيمان: النزعة الساخرة في قصص السعيد بوطاجين، مخطوط ماجستير في اللغة وآدابها، ورقلة – الجزائر، 2010م.

51- طرفة بن العبد: ديوانه، شرح: مهدي ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م.

52- عرابي وليد: جسر الانتحار الأغبر في لندن، وزارة التربية والتعليم المصرية، نشر: 17 ماي 2016، موقع: www.fekra.com، تاريخ: 2017/02/23.

53- العسكري أبو هلال: الصناعتين، تحقيق: علي محمد اليجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، د.ط، د.ت.

54- عمر أحمد مختار: اللغة والألوان، دار عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1997م.

55- عمر أحمد مختار: معجم اللغة العربية المعاصرة، دار عالم الكتب، بيروت، ج1، د.ط، 1424هـ.

56-عنترة: الديوان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1995م.

57- الغامدي: الألوان والرموز ودلالاتها الحضارية الدينية، دراسات عليا، العلاج عن طريق الفن، الموقع: kenanaonline.com، نشر بتاريخ: 2010/01/15.

58- غربال محمد شفيق وزملاؤه: الموسوعة العربية الميسرة، دار النهضة، بيروت – لبنان، 1987م.

59- غزلاني مصطفى: بيض الرماد، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 2007م.

60- الغسيني زاهر بن بدر: دلالات الرمز اللوني في شعر فيدريكو لوركا (1936-1898م)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عمان – الأردن، د.ت، د.ط.

61- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.

62- عبد الفتاح رياض: التكوين في الفنون التشكيلية، دار النهضة العربية، القاهرة، ط2، 1983م.

63- الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، ترجمة: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ج4، ط1، 1424هـ/2003م.

64- عبد القادر أمل محمود: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات نموذجا، أطروحة قدمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية، نابلس – فلسطين، 2003م.

65- قاسم حسين صالح: سيكولوجية إدراك اللون والشكل، دار الرشيد العراق، د.ط، 1982م.

66_ قاروط ماجد فارس: تجليات اللون في الشعر الغربي الحديث، تاريخ: 2015/10/15م، الموقع: www.almaktaba.net.

67- قباني نزار: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج1، ط1، بيروت – لبنان، 1997م.

68- قدور عبد الله ثاني، سيميائية الصورة، دار الوراق، عمان – الأردن، ط1، 2008م.

69- قرانيا محمد: ظاهرة اللون في القرآن الكريم، بحث نشر في مجلة التراث العربي، الإمارات، العدد 6، 1418هـ، يناير 1998م.

70- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث الغربي، بيروت، د.ط، 1985.

71- القزويني الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم الخفاجي، ط4، بيروت – لبنان، 1975م.

72- قطوس بسام: الإبداع الشعري وكسر المعيار، مجلس النشر العلمي، الكويت، 2005م.

73- عمرو بن كلثوم: ديوانه، تح وشر: اميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، د.ت، د.ط.

74- حسين عبد العال اللهيبي: ظاهرة الجناس في خطب الإمام علي بن أبي طالب ورسائله (دراسة بلاغية)، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، الموقع: www.balaghah.net.

75- المتنبي: الديوان، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1426هـ/2005م.

76- المجذوب عبد الله الطيب: المرشد في فهم أشعار العرب وصناعتها، الدار السودانية، الخرطوم، ج2، د.ط، 1980م.

77- مخلوف عامر: مقال بعنوان: حداثة الكتابة الروائية في رواية "أعوذ بالله" للسعيد بوطاجين، مجلة مسارب في 2013/12/26م، الساعة 16:29، موقع: www.rabitat-alwaha.net.

78- المرازقة نجاح عبد الرحمن: اللون ودلالاته في القرآن الكريم، إشراف: حسن محمد الربابعة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2010م.

79- ابن معطي يحي: البديع في علم البديع، تحقيق ودراسة: مصطفى أبو شارب، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2003م.

80- معمر صديقة: شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988-2007م)، مخطوط ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2010م.

81- المغربي حافظ: صورة اللون في الشعر الأندلسي (دراسة دلالية وفنية)، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2008م.

82- المفتي محمود أحمد ، نصيب محمد: الجناس البلاغي في تفسير فتح القدير للإمام الشوكاني، مجلة القسم العربي، القاهرة – مصر، العدد 23، 2016م.

83- ممتوج، سمران نديم: دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي، رسالة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، 2004م.

84- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت –لبنان، المجلد 13، 1417هـ/1995م.

85- منير عامر سامي: وظيفة الناقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعارف، د.ط د.ت.

86- النابغة الذبياني: ديوانه، دار صادر، بيروت – لبنان، د.ط، 1998م.

87- نوفل يوسف حسن: دراسة إحصائية تحليلية لشعر البارودي، نزار صلاح عبد الصبور، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، د.ط، 1119هـ.

88- هيمة عبد المجيد: الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، إتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2003م.

89- وادي طه: جماليات القصيدة المعاصرة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية للنشر، لونجمان، ط1، 2000م.

90- الواقدي: فتوح الشام، دار الكتب العلمية، بغداد، ج1، ط1، 1417هـ/1997م.

91- ويس صالح: الصورة اللونية في الشعر الأندلسي، دار مجدلاوي، عمان – الأردن، ط1، 2004.

92- اليافي نعيم: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008م.

93- يحياوي زكية: الصورة اللونية في التجربة الرومانسية، ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي أنموذجا، مخطوط ماجستير، جامعة تيزي وزو، الجزائر، 2011م

الفهرس	الصفحة
1 – مقدمة	أ – ب
2 – المدخل : دلالة اللوان في الأديان والثقافات	04 - 14
الفصل الأول : التوظيف الفني للألوان في الأعمال الأدبية	
المبحث الأول : الأبعاد الفكرية والنفسية للألوان في العمال الأدبية	16 - 22
المبحث الثاني : الصور التخيلية للألوان في الأعمال الأدبية	23 - 36
المبحث الثالث : الأثر الفني في بناء الدلالات المعبرة والمؤثرة لدى المتلقي	37 - 57
الفصل الثاني : توظيف اللون ودلالاته عند السعيد بوطاجين في المجموعة القصصية " ما حدث لي غداً ..	
المبحث الأول : الأبعاد الفكرية والنفسية لتوظيف الألوان في قصص بوطاجين	58 - 69
المبحث الثاني : الصور التخيلية للألوان في مجموعة " ما حدث لي غداً "	70 - 79
المبحث الثالث: الأثر الفني لتوظيف الألوان في المجموعة القصصية " ما حدث لي غداً .."	80 - 88
خاتمة	90 – 91
قائمة المصادر والمراجع	92
المصادر والمراجع	93 - 99